

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة:

الحمد لله واجب الوجود الذي اخرج الخلائق كلها من العدم إلى الوجود وأمر المكلفين من الثقلين بالإيمان ونهاهم عن الجحود، وأحكم صنعته فيما أبداه لخلقه من قدرته فأرانا من ملكوته وعجائب ربوبيته مما نطقت به آثار حكمته وشهدت به آياته في واسع مملكته: "وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فوبر السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون".

واشهد أن لا اله الا الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، له الأسماء الحسنى والصفات العلى.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله، وصفيه وخليله، صاحب الخلق الطاهر والعلم الظاهر والرسالة العصماء والشريعة الغراء أول الأنبياء نورا وآخرهم ظهورا أرسله الله بالهدى ودين الحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا، فما التحق بالرفيق الأعلى حتى تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وعلى آله وصحبه الكرام البررة الذين ءامنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون .

وبعد فمن المعلوم المسلم به أن الله تعالى بحكمته الباهرة وبقدرته الظاهرة خلق الخلق فأحسن خلقهم وأحكم صنعتهم وجعلهم من دلائل عظمته وأنه الواحد الأحد الذي لا يمدده مدد ولا يحصره أمد ولا يشركه في أمره أحد.

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

وفي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد .

ثم أرسل رسله تترأ داعين إلى عبادته وعمارة مملكته فقاموا مُجدِّين وأدّوا الأمانة مجتهدين وكل الموحدين على ذلك شاهدين، فكان أقربهم أوانا وآخرهم زمانا محمد (ص) صاحب المقام المحمود واللواء المعقود والحوض المورود ، أوفرهم علما وأشهرهم فضلا وأرفعهم ذكرا الذي طرد باليقين خاطر الشك وجبّ بالتوحيد غارب الشرك.

أسماء هذا العلم:

ملاحظة : تختلف أسماء هذا العلم باختلاف المذاهب الكلامية.

* أهم الأسماء: علم التوحيد، علم العقيدة، علم الكلام، علم أصول الدين، وعلم السنة...

التعريف:

1- علم التوحيد:

وسبب تسميته بعلم التوحيد هو أن توحيد الله تعالى يعتبر من أهم مباحثه ومن أهم مقاصده.

التوحيد لغة: يعني جعل المتعدد واحدا أو اعتقاد الشيء واحدا.

واصطلاحا: يعرف باعتبارين:

باعتباره فعلا من أفعال القلوب ومعناه إفراد الله تعالى بالعبادة والجزم بانفراده في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله ، لا مثيل له في ذلك كله ولا نظير.

باعتباره اللقب: هو العلم بالأحكام الشرعية العقديّة المكتسب من الأدلة المرّضية ورد الشبهات.

ملاحظة: والتوحيد هنا ليس بمعنى التصيير والجعل، فالله تعالى واحد عند من اعتقد ذلك وعند من لم يعتقد. لأنها حقيقة والحقائق منفصلة (كما يقول العلماء) أي لا تتأثر بقبول الناس ولا برفضهم.

2- علم العقيدة:

لغة: مأخوذة من العقد وهو الجمع بين أطراف الشيء على سبيل الربط والإبرام والتوثيق والإحكام ،

* ويستعمل في الأجسام المادية كعقد الحبل

* كما يستعمل في الأمور المعنوية كعقد البيع وعقد الزواج...

واصطلاحا: العقيدة هي الإيمان الذي لا يحتمل النقيض.

في بعض المعاجم: هي الحكم الذي لا يقبل الشك لدى معتقده ويرادفها الاعتقاد والمعتقد وجمعها عقائد .

موضوع علم التوحيد:

موضوع علم التوحيد: قسمه بعض العلماء إلى أقسام ثلاثة هي: الإلهيات، النبوات، السمعيات.

- 1 - الإلهيات: ويتضمن كل ما يتعلق بالله تعالى
- حقيقة الإيمان بالله تعالى وإفراده سبحانه في ذاته وفي ربوبيته وألوهيته...
- ما يناقض ذلك من الشرك والكفر وبيان حقيقتيهما...
- الإيمان بأسماء الله تعالى وحظ المؤمن من كل واحد منها. وعدم الإلحاد فيها...
- الإيمان بالصفات العلية لله تعالى وإثباتها من غير تعطيل ولا تشبيه... سواء كانت صفات الجمال أو صفات الجلال. وسواء كانت الصفة النفسية أو صفات سلبية أو صفات ثبوتية...
- الإيمان بأفعال الله تعالى وأنه هو الفاعل الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض.

2 - النبوات

- الإيمان بالأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام
- الإيمان بهم إجمالاً
- ” لا نفرق بين أحد من رسله“ وسواء من قص الله تعالى علينا قصصهم في القرآن الكريم أم من لم يقصص.

الإيمان بهم تفصيلاً

- المذكورون في القرآن الكريم بأسمائهم وعددهم خمسة وعشرون نبياً ورسولاً وليس يجب استظهار أسمائهم بل يكفي أن يميزهم بمن ليسوا منهم.
- الإيمان بما يجب في حقهم وما يجوز وما يستحيل.

- السمعيات ويتضمن كل مقررات العقيدة التي لا تثبت إلا بالوحي ومنها:

أ - الإيمان بالملائكة الأطهار

- الإيمان بهم إجمالاً

- الإيمان بهم تفصيلاً

- الإيمان بطبيعتهم، بوظائفهم، ومراتبهم... وأنهم أجسام مخلوقة من نور لا ياكلون ولا يشربون ولا يتناسلون: " يسبحون الليل والنهار لا يفترون" و: " لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون".

ب - الإيمان باليوم الآخر

- البعث: وأن الله تعالى يبعث الخلائق ويجمعهم ليوم لا ريب فيهويكون فيه:

الجزاء : أي أ الله تعالى يحاسب الناس على أفعالهم ويجزيهم بما كانوا يعملون.
العدل : ويعني أن الله تعالى يجزي الكافرين بالعدل فلا ظلم ولا هضم. قال تعالى : "ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين"

الفضل : يعني أن الكريم لا يعامل المؤمنين بعدله بل يعاملهم بفضله، لأن أعمالهم مهما صلحت فلا يستحقون بها جنات عرضها السماوات والأرض ولو حاسب المؤمنين بعدله ما نجا أحد من عذابه لكن الكريم يعامل المؤمنين بفضله فيضاعف لهم الأجور ويزيدهم من فضله، لا يعاملهم بما هم له أهل بل يعاملهم بما هو له أهل : " هو أهل التقوى وأهل المغفرة".

ج - الإيمان بالكتب:

جميع الكتب المنزلة على الرسل عليهم السلام : التوراه المنزل على موسى عليه السلام والإنجيل المنزل على عيسى عليه السلام والزبور المنزل على داوود عليه السلام بالإضافة إلى الصحف المنزلة على إبراهيم وموسى .. والإيمان بالقرآن الكريم المنزل على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وأنه الرسالة الخاتمة إلى الناس أجمعين إلى يوم القيامة، وأن السنة المشرفة وحي من الله تعالى بقوله تعالى : " وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى "

د - الإيمان بالقضاء والقدر:

والإيمان بالقدر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتوحيد الله تعالى ذاتاً وصفات وأفعالاً ويتصل اتصالاً عميقاً بعلم الله تعالى الشامل المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض.

- قال الإمام النووي : "واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى".

- وقال الراغب الأصفهاني : "والقضاء من الله تعالى أخص من القدر، فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل بين التقدير "القدر ما لم يكن قضاء فمرجو أن يدفعه الله، فإذا قضى فلا مدفع له ويشهد لذلك قوله تعالى : "وكان أمراً مقضياً" وقوله تعالى : "كان على ربك حتماً مقضياً" أي أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه .

- والقضاء والقدر من الأمور الشائكة التي تكلم الناس فيها منذ القدم وما يزالون ، وقد سجل القرآن الكريم مواقف متباينة سنتحدث عنها لاحقاً إن شاء الله تعالى.

حكم علم التوحيد:

الحكم لغة: القضاء مطلقاً أو القضاء بالعدل

اصطلاحاً: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالاعتناء أو التخيير أو الوضع.

وحكم علم التوحيد منه:

- ما هو فرض عين ويقصد بفرض العين: ما تصح به عقيدة المسلم في ربه من حيث ما يجب وما يجوز وما يمتنع في حقه تعالى ذاتاً وأسماء وصفات وأفعالاً... بالأدلة الإجمالية.
- ومنه ما هو فرض كفاية.

ويقصد بفرض الكفاية منه: ما زاد على ذلك من التفصيل والتدليل والتعليل وتحصيل القدرة على رد الشبهات وإلزام المعاندين... بالأدلة التفصيلية.

فضل علم التوحيد:

مقدمة: العلوم الشرعية كلها فاضلة لتعلقها بالوحي المطهر وقد يكون علم التوحيد في الذروة من هذه العلوم كلها بالنظر إلى جهات منها:

فضله من جهة موضوعه

فضله من جهة معلومه

شدة حاجة الناس إليه

أ- فضله من جهة موضوعه : علم التوحيد أشرف العلوم موضوعاً لأنه يتعلق بأشرف ذات وأكمل موصوف، بالله الحي القيوم المتفرد بالكمال في صفات الجمال كما في صفات الجلال.. وبصفوة خلق الله أجمعين الرسل والأنبياء عليهم أفضل الصلاة وأزكى التسليم... ومآل العباد إما إلى جحيم وإما إلى نعيم.

- والعلم به وتحقيقه أشرف الأعمال: سئل النبي (ص): "أي الأعمال أفضل فقال: "إيمان بالله ورسوله...."

ب - فضله من جهة معلومه:

علم التوحيد جامع للحقائق أو العقائد الحقّة التي هي أحكام اعتقادية متعلّقة بالله تعالى وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره.
فهو مراد الله الشرعي: مراد الله تعالى يجمع أموراً ثلاثة: أرادته - أحبه - وأمر به.
وتترتب عليه أمور ثلاثة: أن يثيب فاعله، أن يعاقب تاركه، أن ينهي عن مخالفته.

استمداد علم التوحيد:

كل علم من العلوم يتوقف على ما يستمده من غيره من العلوم والفنون فهي بمثابة وسائل ومصادر وروافد تفيد في تفعيد قواعد ذلك العلم، ومن أدلة علم التوحيد:

- صحيح المنقول

- الإجماع المتلقى بالقبول

- براهين المعقول

- الفطرة السليمة .

أ- صحيح المنقول

- ويشمل المنقول كلاً من الكتاب والسنة:

* من الكتاب قال تعالى: "ونزلنا عليك لكتاب تبياناً لكل شيء" وقال تعالى: "إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم" وأهم ما يهدي إليه العقيدة في الله تعالى وفي أنبيائه ورسالاته والغيب وما يحويه.

* ومن السنة قوله تعالى: "وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى" وقال (ص): "تركتمكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك: كتاب الله وسنتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض"

ملاحظة: لا يجوز التفريق بين الكتاب والسنة، قال تعالى: "وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول..."
وقال تعالى: "فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول..." وقال تعالى: "فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم..."

ب- الإجماع المتلقى بالقبول

إن دين الإسلام مبني على اتباع كتاب الله تعالى وسنة ونبيه (ص) وما اتفقت عليه الأمة، فهذه الثلاثة أصول معصومة.

الإجماع مصدر من مصادر الأدلة الاعتقادية لأنه يستند في حقيقته إلى الوحي المعصوم. وأكثر مسائل الاعتقاد محل إجماع بين الصحابة والسلف الصالح ولا تجتمع الأمة على ضلال.

ج- براهين المعقول

- لقد احتفى الوحي بالعقل احتفاءً خاصاً وأولاه العناية الخاصة ورفع من قيمته وحث على التعقل وأثنى على العقلاء فقال تعالى: " فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب "

* والعقل قد يهتدي بنفسه إلى مسائل الاعتقاد الكبار على سبيل الإجمال كإثبات وجود الله ولكنه في التفاصيل يحتاج إلى الوحي الذي يؤيده ويهديه ويؤكدّه ولا يلغيه.

* فالقرآن الكريم عقيدة وشريعة ونظام حياة وليس به قضية بلا برهان أو دعوى بلا بيّنة ، فهو يخاطب العقل ويحتكم إليه في حال نقائه الفطري ، فالدليل القرآني الذي يساق لتقديم العقائد هو دليل عقلي يقدم في ثوب النص الديني ، ويظهر ذلك جلياً عندما تتأمل مثل: قوله تعالى: " أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون؟". وقوله تعالى: " ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض ".

* العقل وحقائق الغيب

- حقائق ما ورد من أمور اليوم الآخر والغيبات لا يحيلها العقل ولا يردها ولا يوجبها ولا يطلبها.
- فقررها الغيب تنبيهاً للعقول على إمكان وجودها فاستدل على النشأة الآخرة بالنشأة الأولى وعلى خلق الإنسان بخلق السماوات والأرض وهي أعظم وأبلغ في القدرة وعلى البعث بعد الموت بإحياء الأرض الميتة بعد إنزال الماء عليها.

د- الفطرة السليمة .

- الفطرة: خلق الخليقة مجبولة على قبول الإسلام والتهيؤ للتوحيد قال تعالى: " فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم... "

- وقال (ص): " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء فهل تحسون فيها من جدعاء "

- والفطرة تهدي إلى تفرده سبحانه بالألوهية ويظهر ذلك في وقت الشدة والمحن فإن القلب يفرع إلى باريه قال تعالى: " وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه ". وقال تعالى: " فإذا

ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور".

ملاحظة:

العالم يدل على وجود خالقه من جهتين:

من جهة حدوثه.

من جهة إتقانه وإحكام نظامه.

أ - من جهة حدوثه:

إن حدوث العالم يمكن إثباته بأدلة يقينية متعددة منها:

الإمكان: إن العالم ممكن لذاته ، أي أنه لا يقتضي لذاته وجوداً ولا عدماً بل يستوي فيه الوجود والعدم من غير رجحان أحدهما على الآخر فهو إن وُجد فلا بد أن يكون هناك مرجح يرجح وجوده على عدمه. وإن عُدم فلا بد أن يكون مرجح يرجح عدمه على وجوده إذ لا يوجد إلا لسبب ولا يعدم إلا لسبب لأنهما متساويان في نسبتتهما إلى الممكن فإن ثبت له أحدهما بلا سبب وجب رجحان أحد المتساويين على الآخر بدون مرجح وهذا محال عقلاً لما فيه من الجمع بين النقيضين لأنه يؤدي على القول بأنهما متساويان وغير متساويين في نفس الوقت.

التغير: عن الموجودات الممكنة التي يعبر عنها بالعالم تنقسم إلى قسمين : أجسام وأعراض.

أما الأجسام فهي كل ما يستقل بنفسه من الموجودات، ويأخذ قدر ذاته من الفراغ، بحيث لا يمكن أن يقوم بذات أخرى ومن هذا النوع الحيوانات والجمادات وسائر الأجرام العليا والسفلى.

وأما الأعراض فهي كل ما لا يستقل بذاته من الموجودات التي ليس لها كيان خاص ، بل إن وجدت فإنما توجد محمولة في غيرها وذلك كالحركة والسكون والألوان بأنواعها والأشكال على اختلافها والصحة والمرض والحزن والسرور والرضا والغضب والحياة والموت واللذة والألم والصغر والكبر... الممكن الوجود متغير قطعاً:

لقد أثبتت الملاحظة أن العالم توجد فيه أشياء بعد أن لم تكن وأشياء أخرى تنعدم بعد أن كانت وأعراض توجد وتزول وكل ذلك بالحس والمشاهدة كالحیوانات والأشخاص والنباتات والأعراض وغيرها من الموجودات الممكنة .

ب - من جهة إتقانه:

إن العالم بجميع أكوانه وأجرامه العليا والسفلى، وأن المخلوقات بسائر أنواعها وأجناسها، وإن كل ما يشتمل عليه العالم من بدائع المخلوقات وغرائب المصنوعات وإن ما يُرى عليه العالم من نظام متقن وترابط محكم على الدوام والاستمرار من غير اختلال ولا انحلال وغير ذلك مما لا يكاد العقل البشري الضعيف أن يدركه أو أن يصل إليه بحيث يهتدي الانسان من خلال تلك الآيات الكونية إلى أن للكون خالقاً أوجده بعد العدم ومدبراً أتقن تنظيمه أحكم تسييره وليس هو إلا الله الواحد الأحد الفرد الصمد. قال تعالى: " وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ) [البقرة : 163] وقال تعالى: " (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) [البقرة : 164]

قال تعالى: " أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ) [ق : 6] وقال تعالى: " (وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [الذاريات : 47-49].

إلى غير ذلك من الآيات التي تلفت أنظار العباد ليهتدوا على الجزم بوجود الله خالق الكون ومدبر العالم.

بين الفقه والعقيدة

في تحديد العلاقة بين الفقه الإسلامي والعقيدة الإسلامية ، نجد العلماء يذكرون أربعة أقوال :

- 1 - العقيدة جزء من الفقه
- 2 - العقيدة أصل الفقه
- 3 - الفقه دليل على العقيدة
- 4 - العقيدة حقائق وأخبار والأحكام الفقهية إنشاء

1 - العقيدة جزء من الفقه : كان الفقه في بداية التشريع يشمل العقائد، والأحكام والعبادات، والمعاملات والأخلاق، أي أنه كان يساوي أقسام الشريعة برمتها، وهذا المعنى مستخلص من نصوص قرآنية كثيرة من مثل وقوله تعالى : " والدليل على ذلك قوله تعالى: «وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ » [التوبة: 122]

وقول النبي صلى الله عليه وسلم : " مَنْ يُرِدْ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَيُعْطِي اللَّهُ وَلَنْ يَزَالَ أَمْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ مُسْتَقِيمًا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ أَوْ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ. وقد ودعا النبي (ص) لإبن عباس فقال: "اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمَهُ التَّوْبِيلَ، (7)

أبو حنيفة رحمه الله تعالى يعرف الفقه بقوله: الفقه هو معرفة النفس ما لها وما عليها. وقد ألف كتابه الشهير في الفقه الأكبر وضمَّنه عقائد المسلمين. وكان رحمه الله يدرج العقائد، في تعريف الفقه لأنه يرى أن العقائد هي أعمال القلب، وصحة المعلومة العقديّة هي فقه القلب، أي أن القلب يفقه لقوله تعالى: «لهم قلوب لا يفقهون بها» جاء هذا النص في معرض الدم بما يفيد أن الأصل في القلوب أنها تفقه، وفقهها صحة عقائدها.

2 - العقيدة أصل الفقه: ومن أسماء هذا العلم : أصول الدين ، فالعقيدة هي أصل الأحكام وهي تقع منها موقع الجذور من الشجرة، فإذا كانت الجذور ضاربة في أعماق الأرض كانت الفروع باسقة والثمار وافرة، وإذا كانت الجذور مقطوعة في الأرض جفت الفروع ولم تثمر، وكذلك العقائد إذا كانت صحيحة وراسخة أثمرت سلوكا طيبا وعملا صالحا وإذا كانت العقائد ضعيفة ومذبذبة كانت الأعمال والتصرفات ضعيفة على قدر ذلك. قال مولانا جل وعلا : " قال تعالى: «أَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ» إبراهيم 24-25.

وعلى هذا فالعلاقة بين الفقه والعقيدة أن الفقه يقتصر على الأحكام الشرعية العملية، أي القابلة للتطبيق في الواقع، والتي يمكن أن تقع تحت الحس، إما أفعال نراها، أو أقوال نسمعها، وأما أعمال القلوب، فلا تظهر إلا من خلال ما يدل عليها من الأقوال والأفعال. يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " وقوله عليه (ص): "إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ الْمَسَاجِدَ فَاشْهَدُوا لَهُ بِالْإِيمَانِ".

3 - الفقه دليل على العقيدة: أي أن العقائد كلها من الإيمان والكفر والنفاق محلها القلوب وهي سرائر ولا سبيل إلى الاطلاع عليها إلا من خلال أعمال العباد أي ما يظهر عليهم وبذلك ينبغي أن يؤخذ الناس قال الله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهنَّ الله أعلم بإيمانهنَّ فإن علمتموهنَّ مؤمنات فلا ترجعهنَّ إلى الكفار...» (المتحنة 10).

- وهذه العلاقة تتحدد على هذا النحو في الحالات العادية أي حالات الاختيار أما في حالة الاضطرار والإكراه فالأمر يختلف فقد يفعل الإنسان تحت الإكراه ما يخالف عقيدته من ذلك ما دل عليه قوله تعالى: " مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» [النحل:106].

4 - العقيدة حقائق وأخبار والأحكام الفقهية إنشاء :

- إن الأحكام العقدية الصحيحة عبارة عن حقائق أخبر الشرع بها لا تقبل التغير. ينبغي للإنسان المؤمن العلم بها ولا يسعه الجهل بها، أو العلم بما يخالفها.
- مثال على ذلك حقيقة وجود الله تعالى التي يجب على الإنسان الإيمان بها ، وهي منفصلة ككل الحقائق أي أنها لا تتأثر بمواقف الناس منها ، وهي حقيقة ثابتة لا تتغير حتى ولو كفر كل من في الأرض قال تعالى : " وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ " إبراهيم 8. كما أن المخلوقات لن تكون آلهة ولو آمن بها كل من في الأرض .
- ووحداية الله تعالى حقيقة لا تتغير باتخاذ الشركاء قال الله تعالى : " : « وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين إنما هو إله واحد » النحل 51. وقال أيضا : « لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ » [المائدة: 73].
- أما الفقه فهو أمر ونواهي وتوجيهات مصدرها الشرع أي أحكام شرعية تمثل خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين وهي تختلف باختلاف الناس في العلم بها والعزم على الالتزام بها.

توحيد الله تعالى

1 - توحيد الربوبية:

توحيد الربوبية يعني الإقرار بأنَّ الله سبحانه وتعالى هو ربُّ كلِّ شيءٍ ومليكه، وأنَّ الله تبارك وتعالى هو الخالق، والرازق، والمحيي، والمميت، والنافع، والضار، والمتفرد بإجابة دعاء المضطرين،...

الربوبية في القرآن الكريم ولوازمها:

أ - الخلق: ويعني الإنشاء من العدم وقد في القرآن الكريم بهذا المعنى مسندا إلى الله تعالى في قوله لركبائه عليه السلام: " قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّئْ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا: " مريم 9. ووردت في القرآن أيضا بمعنى التشكيل في قوله تعالى على لسان عيسى بن مريم عليه السلام: " وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ " آل عمران 49.

والخلق المسند إلى الله تعالى هو الذي ورد بالمتعنى الأول وحده وقد وردت نصوص كثيرة جدا تدل على أن الله تعالى هو الخالق لكل شيء من هذه النصوص:

قوله تعالى: "الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل"

وقوله تعالى: "قل من رب السماوات والأرض قل الله قل أفألتخذتم من دونه أولياء لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا قل هل يستوي الأعمى والبصير أم هل تستوي الظلمات والنور أو جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار ..."

وقوله تعالى: "مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُمْ تُتَّخَذُونَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا " الكهف 51.

وقوله تعالى: "هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا" الإنسان 1-2.

ب - الرزق:

وقد دأب علماء العقيدة على إدراج مسألة الرزق من بين مباحث العقيدة ولذلك نجد الإمام اللقاني رحمه الله يقول في منظومته الشهيرة جوهره التوحيد:

والرزق عند القوم ما به انتفع وقيل بل ما ملك وما اتبع
ويرزق الله الحلال فاعلما ويرزق المكروه والمحرم

والله تعالى يخبر في كتابه الكريم انه هو الرازق وأنه تكفل بأرزاق المخلوقات كلها فقال عز من قائل: "وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ" هود 6. وقال سبحانه وتعالى: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ" الذاريات 56 - 58.

وأشار القرآن الكريم إلى أن مسألة الرزق لم يستثن منها مخلوق ذو كبد رطبة ، وأن الله لم يخلق أحدا من خلقه إلا وقدر له نصيبه من الرزق ، حتى الدواب التي لا تستطيع أن تكتسب رزقها قدر لها ما يكفيها فقال تعالى ذكره: "وَكَايِّنَ مِنْ دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ" العنكبوت 60-63.

وبعد هذا الإخبار يأتي سؤال التنبيه على أن الرزق إنما يملكه الله تعالى ويقسمه بين عباده قال الله عز وجل: "لَخُنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ" الزحرف 32. ومن الأسئلة القرآنية في هذا الباب قوله تعالى: "يَأْتِيهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ" فاطر 3. وقوله تعالى: "قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ" سبأ 24.

2 - توحيد الألوهية:

توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة وهو معنى "لا إله إلا الله" أي لا معبود بحق إلا الله أي لا أحد يستحق أن يعبد إلا الله سبحانه وتعالى.

والمقصود بالعبادة معناها الشمولي (وليس العبادة بالمعنى الفقهي) الذي يشمل طاعة الله تعالى ظاهراً بالتقيد بأحكام الشرع في جميع مجالات الحياة وباطناً بالإخلاص لله والرضا قال تعالى: " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ " الأنعام 162-163.

ونصوص القرآن الداعية إلى توحيد الألوهية تحتل مساحات واسعة في كتاب الله العزيز الحكيم منها قوله تعالى: "إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ" وقوله تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ " فصلت 6-7.

والمؤمن، في توحيد الألوهية وإفراد الله تعالى بالعبادة والطاعة، لا يكثر بالآخرين فلا أحد يحمل عن الآخر " ولا ترز وازرة وزر أخرى" قال تعالى: " قُلِ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي فاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ " الزمر 14-15.

كما أن المؤمن يعتبر أن عبادة غير الله تعالى جهالة والدعوة إليها كذلك قال تعالى: " قُلْ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ تَأْمُرُوْنِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ" الزمر 64.

3 - الفرق بين توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية:

توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة ، ولكن لا يمكن للإنسان أن يتوجه لله وحده بالعبادة إلا بعد أن يحقق توحيد الربوبية، أي أنّ يؤمن يقيناً بأنّ الله سبحانه وتعالى هو المتصرف في الكون؛ بالخلق إيجاداً، وبالرزق إمداداً ، وبعد أن يستقر في قلبه أنّ النفع والضرر كلّهُ بيد الله وحده لا شريك له، وأنّ الله الذي خلق الكون، وخلق الإنس والجن، وجعل الهدف من خلقهم عبادته سبحانه؛ فالله سبحانه وتعالى يقول في مُحكم التنزيل: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُونَ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ)، [٤].

هكذا يتضح الفرق بين كلٍ من توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية،

فالربوبية تتعلق بأفعال الله الخالق، المتصرف، والمصرف لشؤون جميع الخلق،

والألوهية تتعلق بأفعال الإنس والجن، وعباداتهم التي يجب أن تتوجه، حصراً وبكل إخلاص، لله وحده لا شريك له؛ بما أنه هو المدبر، والمصرف لشؤون الكون وما فيه من مخلوقات.

وفي هذا النص المبارك من كتاب الله العزيز الحكيم يجمع بين عطاء الله تعالى وخلقهِ وإمداده وتسخيهِ ... وبين وجوب توحيد الألوهية المعبر بسؤال الإنكار على من يتخذ لها غير الله الدال على عدوهم عن الحق وقلة علمهم وقلة تذكُرهم وانعدام الدليل على تصرفهم ...

قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ءَاللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا **أَلِلَّة**
مَعَ اللّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ
الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلِلَّة مَعَ اللّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ
وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلِلَّة مَعَ اللّهِ قَلِيلًا مَا تَدْكُرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ
يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلِلَّة مَعَ اللّهِ تَعَالَى اللّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ
يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّة مَعَ اللّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
وبناء على هذا فلا يتصور توحيد الألوهية مع الإشراك في الربوبية، إن توحيد الألوهية يتوقف ضرورة
على توحيد الربوبية... وتوحيد الربوبية مع الإشراك يوقع صاحبه في التناقض..
في الحديث القدسي يقول المولى جل ثناؤه: " إني والجن والإنس في نبي عظيم..."
الأدلة على وحدانية الله تعالى (باعتبار ذلك خبرا وحقيقة كونية) وتوحيد الله تعالى باعتباره واجبا
شرعيا وعقليا...

4 - الأدلة على توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية

أ - في القرآن الكريم:

1 - امتناع التعدد

- قال الله تعالى: "أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا
فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ (الأنبياء-21-22).

وقال تعالى ذكره: " مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَدَّهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّا
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ()
المؤمنون 91-92).

وقال عز من قائل: " لَوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَابْتَعَوْا إِلَىٰ ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا
يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا (الإسراء 42-44).

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ قَالَ
لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ

لَمَجْنُونٌ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْتَلُونَ قَالَ لَعْنِ اتَّخَذَتْ إِيَّاهَا غَيْرِي
لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ الشعراء (23 - 29).

وقفة قصيرة مع فرعون:

فرعون والشيطان وقطاف العنب

الْمَلَأَ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذُرَكَ وَالْهَتَّكَ قَالَ سُنُقْتُ
أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ الأعراف 127.

وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَعْيًا وَعَدَوْا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ
آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ
وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ يونس (90 - 91).

ب- الانسجام بين الإنسان وما خلق الله تعالى له أي وحدة الخلق

مثال على ذلك : الماء عند ما يشرب العطشان ماء باردا يشعر أنه يناسب حاجته

مناسبة عظيمة وينسجم مع جسمه انسجاما بديعا فينتهي بالتأمل أن خالق هذا الجسم

هو خالق هذا الماء الذي لا ينطفئ عطشه إلا به. وقل مثل ذلك في كل نعم الله تعالى...

أثر التوحيد على الموحد:

- يجمع شمله ولا يبقى موزعا قال الله تعالى : " ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ " الزمر 29.

- يسلم من الدعوات المختلفة والمتناقضة :

قال الشاعر العابد:

إني ابتليت بأربع يرميني بالنبل عن قوس له توتير

إبليس والدنيا ونفسي والهوى يا رب أنت على الخلاص قدير

لا يعني أن الموحد لا يتعرض لهذه الدعوات ولكنه إذا تعرض لها يأوي إلى الركن الشديد، قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ... " الأعراف 201.

- تحقيق الإيمان :

" وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ " يوسف 106.

كل موحد مؤمن وليس كل مؤمن موحدًا.

- تحرير الموحد:
- من العبودية لغير الله الواحد الأحد
- من الخوف والرجاء لأنه يؤمن أن النافع والضار هو الله تعالى . فلا يخاف غيره ولا يرجو غيره.

الإيمان

● تعريف:

لغة: التصديق لقوله تعالى: " وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين".
وكان المؤمن عندما يؤمن لمن يخبره بخبر ما غاب عنه يجعله في مأمن من التكذيب وهذا ما صرح به موسى عليه السلام عندما أرسله الله تعالى إلى فرعون قال تعالى: " إني أخاف أن يكذبون".
اصطلاحاً: في اصطلاح المتكلمين يطلق الإيمان على التصديق بكل ما جاء به النبي محمد (ص) .
وموضع التصديق هو القلب ، ولذلك يطرح السؤال التالي: هل يكفي أن يقع في نفس السامع أنك صادق ليكون مؤمناً؟
إن أهل الكتاب عرفوا رسول الله (ص) بعلمات النبوة التي لاحظوها فيه وتطابقت مع ما جاءت به كتبهم بل ولقد عرفوا حتى أصحابه (ض) بما جاء من أمثالهم في التوراة وفي الإنجيل قال تعالى: " والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من اثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار.."
فكانوا ،وبناء على ما تبين لهم من الآيات، على يقين من أنه رسول الله يكنهم حسبوا هذه المعلومة في قلوبهم فلم تنفعهم قال تعالى: " الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون".

وكذلك كان شأن المشركين من العرب فقد كذبوا رسول الله (ص) كما أخبر بذلك القرآن الكريم والتاريخ.

والتكذيب في اللغة يأتي على معنيين:

- أن يقع في نفس السامع أن من يحدثه كاذب حتى ولو لم ينسبه إلى الكذب.
- أن ينسبه إلى الكذب ويقول له أنت كاذب .

ورسول الله (ص) ،عندما قال للناس بأنه رسول الله، لم يقع قط في قلوبهم أنه كاذب وإنما نسبوا إليه الكذب جحودا مع اعتقادهم الجازم أنه كان صادقا، قال تعالى : " قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون".

ولقد كانت صفات رسول الله (ص) الكريمة من اعظم دلائل نبوته وخاصة صفة الصدق حيث كان لا يلقب الا بالصادق الامين ولم يجربوا عليه الكذب ولو مرة واحدة طوال حياته. وعندما أخبرهم بخبر السماء عرفوا أنه صادق ومع ذلك لم ينفعهم إذ لم يدعنا لقتضيات الإيمان .

• المراد بالإيمان:

1 - الجانب العلمي النظري التصوري المعرفي المبني على الأركان الستة وهي الواردة في قوله (ص) : "... أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره...".

2 - الجانب العملي: وهو الترجمة العملية والتصديق الفعلي لما وقر في القلب لقوله (ص) : " ليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل".

ملاحظة:

إن الإيمان ، بعد أن يدخل في القلب ، قد يخرج منه (والعياذ بالله) قال تعالى : " إن الذين كفروا بعد إيمانهم...". وقال تعالى: " كيف يهدي الله قوما كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدي القوم الظالمين".

وهذا الخروج لا يكون إلا إذا كان القلب مضطربا مرتجفا غير ثابت ولا مطمئن.

والطمأنينة لا تكون إلا بالسكينة ، والسكينة من شرطها وجود الإيمان وهي شرط في زيادة الإيمان قال تعالى : " هو الذي أنول السكينة في قلوب المومنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم".

فما نزلت السكينة في القلوب إلا بوجود الإيمان وما ازداد الإيمان في القلوب إلا بنزول السكينة.

إذا ازداد الإيمان في القلوب ازدان وهي الحالة الثانية في مقابل الخروج (والعياذ بالله) قال تعالى :
ولكن الله حَبَّبَ إليكم الإيمان وزَيَّنَهُ في قلوبكم ."

والفعلان منسوبان إلى الله تعالى :

إنزال السكينة في القلوب

تزيين الإيمان في القلوب.

● طريقة القرآن الكريم في عرض حقائق الإيمان:

معلوم أن القرآن الكريم هو المصدر الأول والأساس لكل العلوم وهو ، قبل ذلك وبعد ذلك، كتاب هداية.

وطريقته في عرض قضايا الإيمان متميزة جدا، بحيث يعطي قارئه الحق والحقيقة.

فهو يعرض قضايا الإيمان وحقائقه ودقائقه ولكن لا يقدمها مجردة بل يحولها إلى حقيقة تنصبغ بها شخصية المؤمن فيصير مؤمنا حقيقة مع ما تقتضيه هذه الحقيقة من آثار على فكره وسلوكه، وليس مجرد عارف بما يؤمن به الناس معرفة نظرية تصورية لا علاقة لها بحياته.

من هذه النصوص:

قال تعالى: " إنمَّا المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم."

وقال تعالى : " والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم . وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومسكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم."

وقال تعالى : " إنمَّا المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون."

وقال تعالى: " قد أفلح المومنون الذين هم في صلاتهم خاشعون والذين هم عن اللغو معرضون والذين هم للزكاة فاعلون والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيماهم فإنهم غير ملومين فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون والذين هم على صلواتهم يحافظون أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون".

هذه النصوص وغيرها توضح معالم الطريق وتحدد المطلوب من الإنسان ليدخل في زمرة المؤمنين وتجعله يعرض نفسه على هذه المواصفات والأعمال بتلقائية هائلة ويمارس على نفسه نقدا ذاتيا ويضع يده على مواضع القوة والضعف والإحسان والإساءة لبدأ، إن شاء، ما ينبغي لإصلاح نفسه. إن هذه النصوص تبعث في القلب شعورا بالتقصير والوجل مما يجعل المؤمن خائفا... لأنه يدرك أنه إذا كانت رحمة الله تعالى والمغفرة والرزق الكريم والدرجات العالية عند الله سبحانه لا تنال إلا بهذه الأوصاف فإنه يشعر بأنه دونها.

لكن كتاب الله تعالى لا يستمد منه الإيمان بالنصوص التي تتحدث عن المؤمنين فقط بل بكل نص وبكل كلمة.

فإذا كانت النصوص الهي تتحدث عن المؤمنين وصفاتهم تبعث في النفس الوجل والخوف فإن النصوص التي تتحدث عن المجرمين تبعث في النفوس الأمل والرجاء لأنها تذكرهم بمواصفات وأعمال خطيرة يشعر المؤمن بأنه متنزه عن كثير منها:

قال تعالى: " كل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في سقر قالوا لم نك من المطيين ولم نك نطعم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين".

وقال تعالى: " المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون".

● حقيقة الإيمان عند علماء العقيدة:

قال الإمام البخاري: "الإيمان تصديق بالجنان ونطق باللسان وعمل بالأركان ويزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصانها".

زيادة الإيمان ونقصانه:

الأحناف قالوا: لا يزيد الإيمان ولا ينقص لأنه تصديق والتصديق إما أن يكون وإما أن لا يكون. ويتأولون الآيات الصريحة في زيادة الإيمان كقوله تعالى: "وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون". بأن الآيات زادتهم أشياء جديدة يؤمنون بها. والجمهور يقولون بأن الإيمان يزيد بزيادة الطاعات وينقص بنقصانها وأدلتهم على ذلك ظاهرة ومتضادة...

الفخر الرازي: ذهب إلى القول بأن الخلاف بين الأحناف والجمهور لفظي وفسر ذلك بالقول:

بأن الأحناف قصدوا التصديق

والجمهور قصدوا الأعمال الدالة على التصديق.

وأقول: إذا أخذنا قول الأحناف في تأويلهم لقوله تعالى: "زادتهم إيمانا" بأن المقصود هو موضوع الإيمان فإن ثمة حقائق غيبية كثيرة تتعلق بالله سبحانه: أسمائه وصفاته وأفعاله وما يجوز في حقه وما يجب وما يستحيل ومثل ذلك في حق الأنبياء والرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام وحقائق سمعية تتعلق باليوم الآخر والجنة والنار والقدر خيره وشره....

كلما اطلعنا على هذه الحقائق الغيبية تحولت عندنا إلى تصورات يعقد عليها القلب فتتكون العقيدة ويتكون الإيمان بها.

ولا يزال المؤمن يرتقي الدرجات بمعرفة هذه الحقائق حتى يصل حقيقة الإيمان التي عبر عنها القرآن الكريم في قوله تعالى: "أولئك هم المومنون حقا"، وعبر عنها الصحابي الجليل حنظلة حين سأله النبي (ص): "كيف أصبحت؟" قال: "أصبحت مؤمنا حقا" قال (ص): "لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟" قال: "عزفت نفسي عن الدنيا فأظمأت نهارى (أي بالصيام) وأسهرت ليلي (أي بالقيام) وأصبحت كأني أنظر إلى عرش ربي بارزا وكأني أنظر إلى أهل الجنة في الجنة يتزاورون وكأني أنظر على أهل النار في النار يتضاغون (ي يتصارخون)" فقال له النبي (ص): "عرفت فالزم (ثلاثا).

• شعب الإيمان:

شعب الإيمان هي تلك الشجرة الثابتة الأصل في القلب الوارفة فروعها وظلالها وثمارها في كل الجوارح وفي كل حين بإذن ربها.

الإيمان هو ذلك الأصل الذي يتشعب إلى بضع وسبعين شعبة أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة منها والتي وردت في كلام الله تعالى وفي كلام الحبيب (ص) في جوانبها الإيجابية إثباتا للإيمان وفي جوانبها السلبية نفيًا له وفي مستوياتها وجودًا وعدمًا وفي ثمارها...

الجانب السلبي :

قال تعالى: " قد يعلم الله المعوّقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا ياتون البأس إلا قليلا أشحة عليكم فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنة حداد أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم وكان ذلك على الله يسيرا".

وقوله (ص): " والله لا يؤمن (ثلاثا) من لا يأمن جاره بوائقه".

وقوله (ص) : " ما آمن من بات شبعان وجاره جوعان وهو يعلم".

الجانب الإيجابي:

قوله (ص) : " إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان".

قوله (ص) : " المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أتمنه الناس على أموالهم وأعراضهم"

ملاحظة:

الإيمان لا يتحقق حكما ولا حقيقة إلا بأعلى شعبه كما أن الكفر لا يتحقق حكما إلا بأعلى شعبه.

• درجات الإيمان:

أعلى درجات الإيمان

قال رسول الله (ص) : " لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به".

وقال (ص) : " لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه".

وقال (ص): " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ماله وولده والناس أجمعين ومن نفسه التي بين جنبيه".

قال عمر بن الخطاب (ض): " والله يا رسول الله لأنت أحب إليّ من مالي وولدي والناس أجمعين إلا من نفسي التي بين جنبي " فقال له النبي (ص): " ليس ذاك يا عمر " ثم عاد إليه بعد مدة فقال له: " والله يا رسول الله لأنت أحب إليّ من مالي وولدي والناس أجمعين ومن نفسي التي بين جنبي " فقال له النبي (ص): " الآن يا عمر ". والسؤال هو كيف استطاع عمر أن يرتقي إيمانه وحبه لرسول الله (ص)؟ .

أدنى مراتب الإيمان:

من أبرز علاماته الاكتفاء بتغيير المنكر ومجاهدة أهل البغي بالقلب مع القدرة على تغييره باليد أو باللسان ، قال (ص): " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان " .

وفي رواية تحدث (ص) عن أهل البغي فقال: "... من جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس بعده حبة خردل من الإيمان".

• ثمرات الإيمان:

هذه الثمار مبثوثة في كتاب الله تعالى وفي سنة رسول الله (ص) وهي أكثر من أن يحيط بها العَدّ وأكتفي بذكر نص قرآني ونص حديثي

قال تعالى: " لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والله عليم بالمتقين "

وقال (ص): " ثلاث من كنّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبّ إليه مما سواهما وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار".

ملاحظة:

هذه الشعب من الإيمان وتجلياتها في حياة المؤمن هي التي تجعل الناس يشهدون لصاحبها بالخير والإيمان والصلاح وهي السمعة الطيبة وهي من موجبات الجنة لقوله (ص): " وجبت " وفسرها بقوله (ص): " ذكرتموه بخير فوجبت له الجنة".

● غياب الإيمان ما ذا يعني؟

بناء على ما ذكر من شعب الإيمان ودرجات إيمان المرء بحسب تمثل هذه الشعب يمكن السؤال : إذا لم يوصف المرء بالإيمان فبم يوصف؟

جواب القرآن الكريم يشير إلى درجات ثلاث نفهمها من قوله تعالى : " ولكن الله حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ "

فإذا كان فعل حَبَّبَ يقابله في المعنى فعل كَرَّهَ فَإِنَّ ما حببه الله تعالى يقابل في المعنى ما كَرَّهه فيكون الإيمان في مقابل الكفر أو الفسوق أو العصيان وذلك على درجات.

❖ أسماء الله الحسنى وصفاته العلی

لا يعرف الله إلا الله .

الإنسان بعقله يمتدّ في مجال آيات الله تعالى في الأفاق وفي الأنفس "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق ". وقال تعالى : "وفي الأرض آيات للموقنين وفي أنفسكم أفلا تبصرون وفي السماء رزقكم وما توعدون فوربّ السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون". في هذه الآيات تتجلى عظمة الله تعالى وجلاله وكبريائه وسلطانه ، ولكن العقل يحتاج الى معالم تهديه لئلا يضل وتوقفه على الحكمة وتحدد له مجال التأمل وتعصمه من الزلل وتدله على أكمل الصفات واجلّها وأعلاها لربنا جل شأنه انها الأسماء الحسنى .

● الأسماء الحسنى في القرآن الكريم:

وردت في كتاب الله تعالى أربع مرات:

1- قال تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون" (الأعراف 180) والمعنى أن الله تعالى أسماء هي أحسن الأسماء لما تحمل من معاني التمجيد والتقديس.

فالمؤمن يدعو الله تعالى بما سمى به نفسه من هذه الأسماء، يفهم معناها، يلتزم مقتضاها ولا يتعدها ولا يتخطاها وأما الذين ينحرفون (يلحدون) في أسماء الله فمنهم:

- من يحرفها ويطلقها على معبودات لا تستحقها كما فعل مشركوا العرب من إطلاق اسم اللات (وهي من لفظ الله) والعزى (من لفظ العزيز) على أصنام اتخذوها "ما أنزل الله بها من سلطان".

- من يكذب بها ويصف الله تعالى بما لا يليق كما قالت اليهود "يد الله مغلولة" وكقولهم "إن الله فقير" وقد توعدهم الله بالجزاء الذي يناسب ما صدر منهم من الكفر والإلحاد.

2- قال تعالى: "قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنى" وذكر ابن عباس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تهجد ذات ليلة بمكة فجعل يقول في سجوده "يا رحمن يا رحيم" فقال المشركون: كان محمد يدعوا إلهها واحدا فهو الآن يدعوا إلهين اثنين "الله والرحمن وما نعرف إلا رحمان اليمامة يقصدون به مسيلمة الكذاب فانزل الله تعالى هذه الآية. والمراد بقوله تعالى: أي سمو الإله الحق بما ثبت له من الأسماء أي التي سمى بها نفسه واذكروه بها وادعوه بها, فإن الواحد الأحد تعددت أسمائه الحسنى وما دلت على تعدد الذات ولكن دلت على انه لاتناهي لما اتصفت به الذات من الكمالات.

3- قال تعالى: "طه ما أنزلنا عليك القرآن إلا لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى الرحمان على العرش استوى له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى, وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى". (طه 1-8)

جاءت هذه الآية الذاكرة للأسماء الحسنى بعد جملة من الأمور منها: تنزيل القرآن الكريم والغاية منه ، وأن منزل القرآن الكريم هو خالق السموات والأرض ومالكها هو صاحب السلطان الواسع والعلم الواسع الذي أحاط بالجليل والدقيق... وان أسمائه المتعددة لاتنفي وحدانيته.

4- قال تعالى: "هو الله الذى لا إله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم, هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم".

نلاحظ من هذه الآيات من سورة الحشر التأكيد على التوحيد مع ذكر بعض أسماء الله تعالى بعينها ثم ذكرها إجمالا .

ويلاحظ أيضا الجمع بين أسماء الجمال في قوله تعالى: "الملك القدوس السلام المؤمن" مع أسماء الجلال في قوله تعالى: "المهيمن العزيز الجبار المتكبر" .

● الأسماء الحسنى في السنة النبوية.

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لله تسعة وتسعون اسما من حفظها دخل الجنة وإن الله وتر يحب الوتر". (مسلم) وفي رواية: "إن لله تسعة وتسعين اسما، مائة إلا واحدا، من أحصاها دخل الجنة".

وإشارة الحديثين الشريفين إلى الحفظ و الإحصاء لا يعني فقط استظهارها وإنما المقصود معرفتها والايان بها وفهم معناها والتخلق بها على قدر الطاقة البشرية والعمل على ما تقضيه هذه الأسماء فإذا كان الله تعالى رحيفا وعليما وقادرا... فشان المؤمن أن يتخلق بهذه الصفات وأن يحرص على طلب العلم النافع وأن يكون رحيفا بخلق الله تعالى وأن يستعمل قدرته في خدمة الضعفاء ومن شأنه كذلك أن يؤثر علمه بهذه الأسماء في سلوكه فلا يأتي عملا محرما لأن الله تعالى يعلم ذلك ولا يهمه أن يطلع الناس على صالح أعماله مادام أن الله تعالى عليم به . كما أن قدرة الله تعالى المطلقة عندما يعلم بها فإنها تمنعه من الطغيان والاعتداء على غيره.

ومعنى أن الله وتر يحب الوتر :

قال الإمام النووي: الوتر المفرد ومعناه في حق الله تعالى الواحد الذي لا شريك له ولا نظير ومعنى يجب الوتر "تفضيل الوتر في الأعمال , وكثير من الطاعات فجعل الصلاة خمسا والطهارة ثلاثا والطواف سبعا وأيام التشريق ثلاثا وفي الزكاة خمس أوسق نصابا وكذا خمس أوراق من الورق , كما جعل كثير من عظيم مخلوقاته وتزامنها السموات والأرضين والبحار وأيام الأسبوع , وقد يراد به أن المعنى منصرف إلى صفة من يعبد الله بالوحدانية والتفرد مخلصا له

• أسماء الله تعالى لا حصر لها .

لقد ترجح أن سرد الأسماء ليس مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم وإنما جمعها الرواة وألحقوها بالحديث الصحيح الذي قال فيه النبي عليه الصلاة والسلام "إن لله تسعة وتسعون إسما" وإنما تؤخذ من نصوص القرءان الكريم مما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم , ومقصود الحديث الإخبار عن دخول الجنة بحفظها وإحصائها لا الإخبار بحصر الأسماء ومما يستدل على به أن أسماء الله تعالى لا حصر لها :

* حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "ما أصاب أحد قط هم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وأسالك بكل اسم هو لك , سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو إستأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرءان العظيم

ربيع قلبي ونور صدري وذهاب حزني وجلاء همي وغمي إلا اذهب الله همه وحزنه وأبدله مكانه فرحا
فقيل يا رسول الله ألا نتعلمها؟ فقال بلى ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها
* اختلاف الروايات في الأسماء فلو جمعنا ما اتفق منها وما اختلف لكان العدد أكبر من تسعة
وتسعين.

● هل يجوز إطلاق أسماء على الله تعالى لم يرد بها الشرع؟

1- كل لفظ دل على معنى ثابت لله تعالى جاز إطلاقه عليه بلا توقيف إذا لم يكن إطلاقه عليه
موهما لما لا يليق بكبريائه.

فلا يجوز مثلا إطلاق لفظ :

العارف : لأن المعرفة قد يراد بها علم تسبقه غفلة

الفقيه : لأن الفقه هو فهم غرض المتكلم من كلامه وذلك مشعر بسابقة الجهل

العاقل : لأن العقل مانع من الإقدام على ما لا ينبغي , وإنما يتصور هذا فيمن يدعوه الداعي إلى ما لا
ينبغي .

الظن : لأن الفطنة سرعة إدراك ما يراد تعريضه على السامع فتكون مسبقة الجهل .

الطبيب : لأن الطب علم مأخوذ من التجارب

وهذا ما ذهب إليه القاضي أبو بكر الباقلاني

2- لا بد من التوقيف وهو المختار للاحتياط عما يوهم باطلا لعظم الخطر في ذلك.

فلا يجوز الاكتفاء في عدم إيهام الباطل بمبلغ إدراكنا بل لا بد من الاستناد إلى الشرع وهو قول
الشيخ الأشعري .

3- قول المعتزلة والكرامية : إذا دل العقل على اتصافه بصفة وجودية أو سلبية أو فعل جاز أن

يطلق عليه اسم يدل على اتصافه بها دون الحاجة إلى إذن شرعي .

● اسم الله الأعظم :

لقد شاع بين المتديّنين ، خصوصا ، أن لله تعالى اسما هو أعظم السماء ، له مدخل خاص في إجابة
الدعاء وقضاء الحاجات من الله جل في وعلاه .

أختلف العلماء في الاسم الأعظم إلى فريقين :

✓ فريق يرى انه اسم خاص أو لفظ معين , واختلفوا في تحديد هذا اللفظ فقالوا :

لفظ الجلالة (الله)

الرحمن الرحيم

الحي القيوم

ذو الجلال والإكرام

لا اله إلا الله

الحنان المنان

بديع السموات والأرض

ذو الجلال والإكرام الحي القيوم

مما يدل على هذا المذهب :

✓ ما أخرجه ابن ماجة عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم أن يعلمها الاسم الأعظم فلم يفعل فصَلَّت ودعت قائلة : اللهم اني أدعوك الله وأدعوك الرحمن وأدعوك الرحيم وادعوا بأسمائك الحسنى كلها ما علمت منها وما لم أعلم... وفيه أنه عليه الصلاة والسلام قال لها "انه لفي الأسماء التي دعوت بها "

✓ ما أخرجه أبو يعلى عن رجل من طي اثنى عليه قال : كنت أسأل الله أن يريني الاسم الأعظم فرأيته مكتوبا في الكواكب في السماء : بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام " لكن الرؤى والأحلام لعامة المسلمين ليس مما يستدل به في الدين. إن الاسم الأعظم هو اسم الجلالة :

لأن المشركين وإن كانوا يسمون الآلهة (الأوثان) بأسماء فإنهم لم يسموها به ولا يطلقونه على غير الله (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله) وقال تعالى "هل تعلم له سميا" أي لا يوجد من اسمه الله سوى الله ✓ الفريق الثاني :

يرى أن الاسم الأعظم حالة نفسية يستشعر معها المرء جلال الله تعالى وعظمته فيجعله يدعوه ضارعا خاشعا موقنا بالإجابة مضطرا... فيحقق الله رجاءه ودعاءه وذهبوا إلى القول: لا يجوز تفضيل بعض الأسماء على بعض ومثله كراهية أن تعاد قراءة سورة دون غيرها من السور لثلا يظن أن بعض القراء أفضل من بعض فيؤدي ذلك إلى اعتقاد نقصان المفضل على الأفضل وقالوا "إن المراد بالاسم

الأعظم العظيم وان أسماء الله تعالى كلها عظيمة وقيل المراد بالأسماء عظيمة مزيد ثواب الداعي بذلك كما أطلق ذلك في القراءان والمراد مزيد ثواب القارئ .

مما يستدل به على هذا المذهب:

مما أقره النبي صلى الله عليه وسلم :

إن النبي عليه الصلاة والسلام سمع رجلا يدعو ويقول له "اللهم إني أسألك باني أشهد انك أنت الله , لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد.

فقال صلى الله عليه وسلم:والذي نفسي بيده لقد سال الله تعالى باسمه العظيم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى .

حديث أنس :دخل النبي صلى الله عليه وسلم إلى المسجد ورجل يصلي وهو يدعو ويقول في دعائه :اللهم لا إله إلا الله , أنت المنان بديع السموات والأرض ذو الجلال والإكرام .فقال أتدرون بما دعا الله ؟دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب ,وإذا سئل به أعطى .

هذان رجلان نطقا بما ألهمهما الله وبما استشعرا معناه وبما أستقر في القلب وعبر عنه اللسان فأقرهما النبي صلى الله عليه وسلم ووصف دعائهما بانه مستجاب

عن أسماء بنت زيد :قال النبي صلى الله عليه وسلم "اسم الله الأعظم في هاتين الآيتين "والهكـم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم“

وفاتحة آل عمران"الم الله لا اله إلا الله هو الحي القيوم“

عن سعد بن مالك قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول "هل أدلكم على اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى ؟

الدعوة التي دعيا بها يونس "لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين" فقال رجل :يا رسول الله هل كانت ليونس خاصة أم للمؤمنين عامة ؟فقال :ألا تسمع قول الله عز وجل "وَبِحَيْنَاهِ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ "

ولا شك أن اختلاف هذه الأحاديث وهذه الصيغ يدل على أن الاسم الأعظم ليس لفظا مخصوصا ولكن موقف دعاء وينقطع فيه القلب عن الخلق ويحسن اتصاله بالحق وتعظم صلته بالملا الأعلى ويقوي الرجاء في الله وينقطع عن سواه...

• جماع المعاني:

إن أسماء الله الحسنى دالة على معانيها المختلفة وهي في كثرتها وتنوعها تدل على كمالات الله تعالى التي لا حصر لها. وهذه الأسماء على اختلافها تجمعها عدة معانٍ تندرج تحتها مجموعة من الأسماء، وقد نقل الإمام البيهقي خمس عقائد تنطوي تحتها الأسماء الحسنى وهي :

- 1- إثبات وجود الباري جل شأنه مثل الأول والآخر والباقي والحق المبين
 - 2- إثبات الوحدانية لله تعالى لتقع البراءة من الشرك مثل: الواحد، الكافي، العلي
 - 3- إثبات انه تعالى ليس بجوهر ولا عرض لتقع به البراءة من التشبيه مثل: الأحد، العظيم والعزیز والمتعال والكبير والغني والسبوح والقدوس
 - 4- إثبات أن كل ما سواه من خلقه لتقع البراءة من العلة والمعلول أو من الحتمية السببية مثل: الله الحي العالم القادر الحكيم، السيد الجليل البديع البارئ الخالق المصور المقتدر
 - 5- إثبات انه تعالى مدبر هذا الكون ومصرفه على ما يشاء لتقع البراءة من القائلين بالطبائع الطبيعية، أو تدبير غيره كالكواكب، والملائكة... مثل: المدبر - القيوم - الرحمن - الرحيم - الحليم - الكريم - العفو - والغافر - الغفار - الغفور - الرؤوف - الصمد - الحميد - الفتاح - المهمين - المقيت
- إن أسماء الله تعالى ذكره منقسمة بين العقائد الخمسة، فيلحق بكل واحدة منهن بعضا وقد يكون منها ما يلتحق بمعنيين أو أكثر .

● الأسماء بين الخالق والمخلوق :

إن أسماء الله تعالى تكون له معانٍ خاصة عندما تطلق على الباري جلت قدرته، فلا يشركه في هذه المعاني أحد من خلقه لأن كل ما هو متصل بالله تعالى لا يشبهه شيء مما هو متصل بالمخلوق "ليس كمثلته شيء"

وقد قسم العلماء الأسماء من حيث الإطلاق إلى الأنواع التالية :

أسماء لا يجوز إطلاقها على غير الله تعالى منها :

- الله - القدوس - مالك الملك - المحيي - المميت - ذو الجلال والإكرام -
أسماء تطلق على الله تعالى مطلقا ولا تطلق على غيره إلا مضافة أو مقيدة مثل: الرب -
القابض - الباسط - الخافض - الرافع - فإذا أطلقت على الإنسان أضيفت مثل: رب الأسرة رب
المال

أسماء تطلق ألفاظها على الله تعالى وعلى الإنسان منها :

العليم - الحكيم - الحليم - الملك - السيد - السميع - البصير

قال تعالى "إن إبراهيم لحليم أواه منيب"

قال تعالى "وبشروه بغلام عليم"

قال تعالى "وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين"

قال تعالى "وقال الملك ائتوني به"

وقال تعالى "فجعلناه سميعا بصيرا"

واللفظ المشترك هنا يطلق على حقيقتين مختلفتين تماما فعلم البشر لا وجه لمقارنته مع علم الله تعالى وكذلك حكمه وملكه وسمعه وبصره

هناك أسماء تطلق على الله تعالى مرتبطة بأضدادها وذلك منعا لإبهام اختصاص أفعال الله تعالى بهذه المعاني فقط القابض - الباسط - المحيي - المميت - المعز - المذل الرافع - الخافض .

هناك أسماء لله تعالى تشتق من أفعاله التي أشار إليها الوحي مثل القابض والباسط من قوله تعالى "والله يقبض ويبسط"

ولكن ليس كل فعل من أفعاله سبحانه ورد في كتابه الكريم أو في سنة نبيه الكريم يمكن أن تشتق منها أسماء:

قال تعالى "ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين"

قال تعالى "يخادعون الله وهو خادعهم"

وقال تعالى "الله يستهزئ بهم"

قال تعالى "والسما بيناها بأيدي"

فلا يجوز أن نطلق على الكريم سبحانه وتعالى أسماء مثل الماكر والخادع ...

• ثمرات العلم بأسماء الله الحسنى:

إذا ما تتبعنا أسماء الله الحسنى ، سواء الأسماء الحسنى الدالة على جلال الله أو الأسماء الحسنى الدالة على جماله سبحانه نجد أن العلم بما حق العلم والإيمان بما حق الإيمان يورث المؤمن من الخلال والصفات ما يرفع درجاته بحسب تمثله لها علما وإيمانا قال تعالى : " يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين

أوتوا العلم درجات¹ وهذا بعض المراد من قوله (ص): "إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة".

ومن هذا الثمار:

- ✓ تعظيم الله جل وعلا
- ✓ محبة الله تعالى والرجاء في ما عنده وعدم اليأس من رحمته
- ✓ الخوف والرهبه والخشية منه من عقابه والفرار إليه
- ✓ حسن الظن بالله تعالى وما يستتبعه من حين العمل.
- ✓ تذوق حلاوة الإيمان
- ✓ حسن العبادة ودوام الذكر وكثرة الحياء
- ✓ الشوق إلى لقاء الله تعالى .

● الأسماء والصفات.

الصفة لغة من وصف الشيء وصفاً . وصفة الشيء : نعته.

وقال المرحاني: الصفة هي الأمانة اللازمة بذات الموصوف التي يعرف بها².

والصفة في اصطلاح علماء العقيدة: هي مجموع ما وصف الله تعالى به نفسه وما وصفه به نبيه (ص) كوصفه سبحانه بالوحدانية والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام وغير ذلك من الصفات الدالة على عظمته وجلاله.

● توحيد الصفات:

المقصود بتوحيد الصفات أفراد الله تعالى بصفاته العلى التي وردت في كتابه العزيز وسنة نبيه المصطفى الأمين والدالة على الكمال المطلق الذي لا يتصور عقلا ولا شرعاً أن يشاركه فيه غيره. وعليه فلا يجوز لأحد أن يشبه صفات الله تعالى بصفات المخلوق فسمعه سبحانه ليس كسمع عباده مبصره ليس كبصر عباده ... وربنا جل في علاه وصف نفسه بأنه سميع وبصير مثلاً في قوله تعالى: "إنه هو السميع البصير"³ ووصف الإنسان بأنه سميع وبصير في قوله تعالى: "إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً"⁴ ولكن الصفة تابعة للموصوف فلما كان

¹ المجادلة 11.

² التعريفات ص 145.

³ الإسراء 1.

⁴ الانسان 2.

ربنا تعالى متصفاً بكل كمال وجب أن تكون صفاته كذلك ولما كان الإنسان متصفاً بصفات النقص والضعف كانت صفاته كذلك ومن هنا نفهم قوله تعالى: "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" 1.

إن الإيمان بصفات الله تعالى ضرورة إيمانية ومن لم يتحقق بها حصل له من الانحراف والزلل بقدر ما غاب عنه منها وقد أورد القرآن الكريم جملة وافية من صور الانحراف في السلوك الناتج عن الجهل بأسماء الله الحسنی وصفاته العلی من ذلك:

من أنكر وجود الله تعالى ادعى الربوبية كما حكى القرآن الكريم على لسان فرعون قوله: "أنا ربكم الأعلى" وادعى الألوهية قال تعالى حكاية عنه: "... ما علمت لكم من إله غيري..". من أخطأ وحدانية الله تعالى أشرك معه غيره كما فعل المشركون وسجل القرآن الكريم عنهم ذلك في قوله تعالى: "أرأيتم اللات والعزى ومنات الثالثة الأخرى ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذأ قسمة ضيزى إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان..." 2.

ومن لم يدرك حقيقة العلم الإلهي الذي أحاط بكل شيء ولم يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء... فاجأته شهادة جوارحه على ما اجترح من السيئات قال تعالى: "حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين" 3.

وهكذا نجد أن العلم والإيمان بكل صفة من صفات الله العلي عاصم كما أن الجهل والكفر بكل صفة من هذه الصفات قاصم.

• أنواع الصفات عند علماء العقيدة:

جمهور المتكلمين فصلوا الصفات الإلهية إلى ثلاث عشرة صفة مجمع عليها وهي :

الوجود: وهي الصفة النفسية الوحيدة

1 الشورى 11.

2 النجم 19-23.

3 فصلت 19-21.

الصفات السلبية: أي التي تسلب عن الله تعالى ما لا يليق بجلاله وكماله أي أنها تسلب عنه ما نفاه سبحانه عن نفسه أو نفاه عنه نبيه محمد (ص) كالحدوث بعد العدم أو الفناء بعد الوجود أو الشريك في الخلق أو في الملك أو في الحاكمية أو غيرها مما لا ينبغي لغيره أو افتقاره لغيره في تدبير مملكته أو مشابته لأحد ممن مخلوقاته... وهي خمسة :

القدم: بالنظر على كون الله تعالى واجب الوجود يكون القدم عبارة عن سلب العدم السابق للوجود أي عدم ابتداء وجوده بمعنى أن وجوده سبحانه لم يسبق بعدم، قال تعالى: " هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم"1.

البقاء: كما أن صفة القدم تنفي عن الكريم العدم قبل الوجود فإن البقاء ينفي عنه العدم بعد الوجود أي أن وجوده سبحانه لا يلحقه العدم قال تعالى: " كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام"2 ، وقال عز من قائل: " كل شيء هالك إلا وجهه.."3 وقال النبي (ص): "اللهم أنت الآخر فليس بعدك شيء".

القيام بالنفس: ويسمى أيضاً " الغنى المطلق" ومعناه أن الله سبحانه وتعالى قائم بنفسه مستغن عن غيره لا يحتاج إلى شيء من خلقه وكل خلقه محتاج إليه قال تعالى: " يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هم من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا إله إلا هو فأنى توفكون"4 وقال تعالى: " يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد"5

المخالفة للحوادث: ويعني ذلك أن الله تعالى لا يشبه شيئاً من خلقه لأن هذه الحوادث مخلوقة بعد العدم أي أنها في دائرة الممكنات العقلية قابلة للوجود وللعدم بينما الله تعالى هو واجب الوجود أي أن وجوده لا يقبل العدم مطلقاً. ولأن هذه الحوادث أجرام وأعراض والله الكريم ليس جرمًا ولا عرضاً ولذلك قالوا: " كل ما خطر ببالك فالله تعالى خلاف ذلك".

الوحدانية: وهذه الصفة تقتضي أن الله تعالى واحد لا شريك له وفرد لا يد له . تفرد بالخلق والإبداع وتفرد بالإيجاد والإمداد . لا مثل له يساويه ولا ضد له فينازعه قال تعالى: " لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون"6 وقال تعالى: " ما اتخذ الله

1 الحديد 3.
2 الرحمن 24-25.
3 القصص 88.
4 فاطر 3.
5 فاطر 15.
6 الأنبياء 22.

من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله
عمّا يصفون. "1.

صفات المعاني وعددها سبعة وهي :

الحياة - العلم - الإرادة - القدرة - السمع - البصر - الكلام: هذه الصفات تدل على معنى
زائد يقوم بالذات .

الحياة: إن حياة الله الكريم ليست كحياة أحد من خلقه فحياته جل وعلا قديمة باقية ما سبقها
ولن يلحقها عدم ولا تغيير مطلقاً قال تعالى : " الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا
نوم... "2 وقال تعالى : " هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب
العالمين "3.

العلم: إن علم الله تعالى ليس كعلم أحد من خلقه لأن علمه أحاط بكل شيء فقد علم الأشياء
قبل وجودها ، يستوي عنده سبحانه السر والعلن والقديم والحديث والماضي والحاضر والمستقبل
قال تعالى : " وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة
إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض و لا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين "4. بل إن علم
الله تعالى أحاط بالمكن والواجب وبالمستحيل فلا يخفى عليه من أمور خلقه شيء : ط ألا يعلم
من خلق وهو اللطيف الخبير "5.

الإرادة: ويعني ذلك أن الله تعالى مرید ومن مقتضيات إرادته سبحانه أن لا يقع شيء في ملكه
إلا بإرادته قال تعالى : " وهو الغفور الودود ذو العرش المجيد فعّال لما يريد "6.

وتجدر الإشارة أن الإرادة نوعان : إرادة كونية وإرادة شرعية

الإرادة الكونية كما في قوله تعالى : " إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ". هذا تدبير
إلهي لمملكته بمحض إرادته لا دخل فيه لأحد ولا حساب عليه.

الإرادة الشرعية كما في قوله تعالى : " يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ". فقد شرع الله
تعالى الشرائع وجعلها وعاء للرحمة والعدل واليسر والخير... كما أباح الله تعالى للمسافر والمريض

1 المؤمنون 92.

2 البقرة 255.

3 غافر 65.

4 الأنعام 60.

5 الملك 15.

6 البروج 14-16.

الإفطار في رمضان والتميم بدلاً عن الوضوء إرادة شرعية والإنسان مختار بين الالتزام وعدمه ومحاسب على ذلك .

القدرة : ومعناه أن اله تعالى متصف بالقدرة المطلقة ، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء قال تعالى : " وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض غنه كان عليماً قديراً"1 .
ولا حد لمظاهر قدرته سبحانه ومنها أنه إذا أراد أن يذهب بالناس جميعاً ويخلق آخرين لفعل قال تعالى: " إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً"2.

ملاحظة 1: بين صفات العلم والإرادة والقدرة علاقة ذلك بأن علم الله يتعلق بكل شيء حتى بالمستحيل وإرادة الله تعالى تخصص من علم الله تعالى ما تعلقت به مشيئته والقدرة تنجز ما خصصته الإرادة من علم الله . فالإرادة لا تتعلق غلا بالممكنات.

السمع : ويعني أن الله يسمع كل شيء سواء سرا أو جهراً ، فلا تختلط عليه الأصوات ولا تلتبس عليه اللغات قال تعالى : " وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفي"3 وقال تعالى : " وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور... "4 وقال تعالى: " ليس كمثله شيء وهو السميع البصير"5.

البصر : والله تعالى متصف بالبصر لا يخفى على بصره شيء في السماوات ولا في الأرض ولا فيما بينهما ولا في باطن الأرض ولا في ظاهرها قال تعالى : " ألم يعلم بأن الله يرى"6.

الكلام: ويعني أن الله متكلم قال تعالى : " ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً"7 وقال تعالى: " وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه"8.

إن صفات المعاني هي كل صفة لها وجود في نفسها قائمة بذاته سبحانه وتعالى وهي تستلزم حكماً ملازماً لها يعبر عنه باسم مشتق من اللفظ الدال على تلك الصفة ويطلق على الذات التي قامت بها .

1 فاطر 44.
2 النساء 133.
3 طه 6.
4 الملك 14.
5 الشورى 11.
6 العلق 14.
7 النساء 164.
8 التوبة 6.

فواجب الوجود سبحانه لما كان متصفاً بصفات المعاني من حياة وعلم وإرادة وقدرة وسمع وبصر وكلام وجب أن يشتق له من كل صفة من هذه الصفات اسم يطلق على الذات الكريمة للدلالة على قيام تلك الصفة بالذات المقدسة فهو سبحانه الحي ، العليم، المرید، القدير ، السميع، البصير، المتكلم.

ملاحظة 2 :

لا منافاة بين تركيز علماء العقيدة على هذه الصفات وبين أسماء الله الحسنى في كثرتها، فإن كل صفة قد تندرج تحتها أسماء كثيرة :

مثال: صفة العلم تندرج تحتها أسماء: العالم - العليم - العلام - الخبير - المحصي - الشهيد - الحسيب - الحكيم...

صفة القدرة: تندرج تحتها أسماء: الخالق، الرازق، المحي، المميت، الباعث، القادر، المقتدر، المغني، النافع، الضار، القابض، الباسط...

فالأسماء والصفات تلتقيان ولا تتعارضان إلا لفظ الجلالة "الله" فهو اسم غير مشتق وليس بصفة فهو يدل على الذات دلالة مطلقة وبه تعرف جميع الأسماء والصفات فتقول مثلاً: الرحمان من أسماء الله وليس العكس.

وكما يجب على المؤمن أن يؤمن بأسماء الله الحسنى كلها وأن يفرد الله تعالى بما سمي به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه عليه الصلاة والسلام كذلك عليه أن يؤمن بصفات الله العلى وذلك بإثبات ما أثبت الله لنفسه ونفى ما نفى عن نفسه سبحانه من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل ، وهذا من مقتضيات التوحيد في الأسماء والصفات.

دلالة القرآن الكريم على صفات الله عز وجل:

إن الله تعالى وصف نفسه في كتابه بصفات الكمال السالفة الذكر ليعرفه عباده من خلالها ، وهذه الصفات هي التي تميز الخالق عن المخلوق .

والقرآن الكريم يدل على هذه الصفات ويشتمها بطرق مختلفة منها :

• **التصريح بالصفة:** مثل التصريح بصفة العزة قي قوله تعالى : " والله العزة ولرسوله

وللمؤمنين... "1" وصفة القدرة في قوله تعالى : " إن الله على كل شيء قدير"2 وصفة

¹ المنافقون 8
² فاطر 1

الغنى في قوله تعالى: " وربك الغني ذو الرحمة.."¹ . وقول النبي (ص): " اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما دامت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي " وقوله (ص): " اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك ... "

- **تضمن الاسم للصفة** : من المقرر عند علماء العقيدة أن الاسم الذي يشتق من اللفظ الدال على الصفة يطلق على الذات المقدسة للدلالة على قيام تلك الصفة بالذات مثل : صفة العليم في قوله تعالى: " إن الله بكل شيء عليم للدلالة على علم الله تعالى . وقوله تعالى: " وهو السميع البصير " للدلالة على صفتي السمع والبصر...
- **التصريح بالفعل الدال عليها**: مثاله قوله تعالى: " وكلم الله موسى تكليماً" للدلالة على صفة الكلام وقوله تعالى: " إن الله يحكم ما يريد " للدلالة على إثبات الإرادة لله تعالى . وقوله (ص): " ...فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب..."².

¹ الأنعام 134.
² أخرجه مسلم في كتاب الصلاة.

النبوات

تمهيد : يعتبر موضوع النبوة - نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم - واحدة من المسائل التي اشتد اعتراض المشركين عليها، ونجدها تحتل في كتاب الله تعالى مساحات واسعة، ويرجع ذلك إلى كثرة الشبهات التي بثها المشركون حول هذه القضية وكثرة التهم التي وجهوها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كان القرآن ليذرهم يتمادون في افتراءاتهم دون ردٍ لما يمكن أن يحدثه ذلك في قلوب المؤمنين وغيرهم..

التعريف:

النبوة وظيفة إلهية وسفارة ربانية يجعلها الله تعالى لمن ينتجبه ويختاره من عباده الصالحين وأوليائه الكاملين في انسانيته .

الرسول هو حامل الرسالة وهو وسيلة هداية الله تعالى للناس وله شرف الوساطة بين الخلق وخالقهم ومرسل برسالة خاصة إليهم ويختاره الله تعالى ممن أرسل إليهم ومن أهل لغتهم.

الفرق بينهما:

الفرق بين الرسول والنبى على مذهب جمهور أهل العلم، والذي نرجحه، أن الرسول هو المبعوث إلى قوم برسالة جديدة وشرع جديد، في حين أن النبي هو مذكّر لقومه برسالة سابقة اندرست معالمها مع طول الزمن، فيكون كل رسول نبياً، وليس كل نبي رسولاً .

الرسالة اصطفاة إلهي خالص:

الرسول والأنبياء عليهم الصلاة والسلام صفوة من عباده اختارهم وانتجبههم على علم قال تعالى: " وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ... الأنعام 124. وهي منة من الله خالصة يمن بها على من يشاء قال تعالى: " قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ... إبراهيم 11. ولم يكونوا ينتظرونها ولا يترشحون لها قال تعالى عن سيدنا محمد: " وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ... القصص 86. بل إن موسى عليه السلام أشفق منها وسال الله تعالى أن يشد أزره ويعضده بأخيه هارون عليه السلام قال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام: " وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ " القصص 34.

قال الإمام اللقاني في جوهرة التوحيد جامعا لهذه المعاني:

ولم تكن نبوة مكتسبة ولو رقى في الخير أعلى عقبة

بل ذاك فضل الله يوتييه لمن يشاء جلّ الله واهب المنن

- حكم إرسال الرسل العقل والشرع والفلسفة:

حكم إرسال الرسل الكرام يتراوح بين الوجوب والجواز والاستحالة وتفصيل ذلك فيما يلي:

- قالت المعتزلة بالوجوب وكذلك قالت الفلاسفة على خلاف بينهما في الأدلة

- قال البراهمية والسمنية بالاستحالة

- قال أهل السنة والجماعة بالجواز

* وحجة المعتزلة في أن إرسال الرسل واجب على الله تعالى يأتي بناء على أصلهم المعروف القاضي بأنه يجب على الله تعالى الصلاح والأصلح لعباده، قالوا لأن صلاح أحوال العباد في المعاش و في المعاد لا يتم إلا بإرسال الرسل فصار واجبا على الله تعالى إرسالهم لتحقيق هذا المقصد.

* أما الفلاسفة الذين اتفقوا مع المعتزلة في وجوب إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام فقد اختلفوا معهم في الحجة حيث قالوا إن هذا العالم الذي هو دليل على وجود الله يحتاج إلى من يصلحه فيلزم منه وجوب إرسال الرسل.

الرد على المعتزلة والفلاسفة:

ويرد على هؤلاء أن الله تعالى يفعل بالاختيار لا بطريق الإجبار .. قال تعالى: " وَهُوَ الْعَفْوَزُ الْوَدُودُ دُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَلَّ لِمَا يُرِيدُ " وقال تعالى: " لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ " الأنبياء 33. وقال تعالى: " وربك يخلق ما يشاء ويختار " القصص 68.

وليعلم هؤلاء أن عناية الله تعالى فينا لا لشيء منا ، وأين كنا حين واجهتنا عنايته وقابلتنا رعايته؟ ... لم يكن في أزله إخلاص أعمال ولا وجود أحوال، بل لم يكن هناك إلا محض الإفضال وعظيم النوال. فجل حكم الأزل أن ينضاف إلى العلل ...¹

* وقالت البراهمية والسمنية باستحالة إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام وحجتهم أن إرسالهم عبث لأنه يُستغنى عنهم بالعقل، وقالوا لأن مناط فعل الشيء هو تحسين العقل إياه، ومناطق ترك الشيء هو تقبيح العقل إياه.. والعبث على الله محال فيكون إرسال الرسل محالا.

الرد على البراهمية والسمنية:

ولا يخفى على ذي لب أن كلامهم واضح البطلان مقدماتهم واهية البنيان، لأن الواقع يكذب ما قالوا، فقد أرسل الله تعالى رسله تترى.

ويرد على قولهم بعدم التسليم بأن إرسال الرسل عبث لأنه لو كان الأمر كما ذكروا، ولو أننا سلمنا لهم بما قالوا – أي أن إرسال الرسل عليهم السلام عبث ما دام العقل قادرا على تحسين الأفعال وتقبيحها فيستغنى به عنهم - ، فلن تكون البعثة عبثا لأنها تعضد العقل وتقويه وتسندة وتؤيده. ولكن الأمر ليس كما ذكروا فالعقل لا يستطيع الاستقلال بالحكم على كثير من الأشياء وهو الواقع.

¹ جوهرة التوحيد للإمام اللقاني بشرح إبراهيم الباجوري.

* **والخلاصة** من هذا كله أن من مقررات مذهب أهل السنة والجماعة أن إرسال جميع الرسل الكرام عليهم الصلاة والسلام من أنواع الجائز العقلي على الله تعالى، وقد وقع منه سبحانه وتعالى تفضلا وتكرما ورحمة بعباده لما فيه من الحكم والمصالح.

- منها تأييد العقل فيما استقل بمعرفته كوجود الله سبحانه وعلمه وقدرته وحكمته ...
- ومنها استفادة الحكم من الأنبياء فيما لا يستقل العقل به، كمبحث الكلام ورؤيته سبحانه والمعاد الجسماني..
- ومنها بيان أفعال تحسن تارة وتقبح تارة أخرى ولا يستطيع العقل الاهتداء إلى مواطنها ...
- ومنها أن تقوم الحجة على المكلفين من الثقلين بإرسال الرسل قال تعالى: "رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا النساء 165.
- فالرسل عليهم الصلاة والسلام هم حجة الله تعالى خلقه: وقال تعالى: " وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا الإسراء 15، وقال تعالى: " وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى " طه 134.

ملاحظة : هذا التقرير الذي دافع عنه المتكلمون وردوا كل قول يخالفه تنزيها وتعظيما لله تعالى، قد يوهم أنه ما دام من الجائز العقلي فلا يجب الإيمان به لذلك استدرك الناظم سريعا فقال :

لكن بذا إيماننا قد وجبا فدع هوى قوم بهم قد لعبا.

أي إذا عرفت أن إرسال الرسل من قبيل الجائز وأن إيماننا به واجب " فأعرض عن الجاهلين "

- **بشرية الرسل:**

نجد في كتاب الله تعالى نصوصا مستفيضة تذكر هذا الأمر وتؤكد عليه وتحت هذه المسألة فروع كثيرة منها:

الرسل الكرام بشر اجتباهم الله تعالى على علم لتبليغ رسالته وهداية خلقه قال تعالى: " قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا " الكهف 110.

- وفي هذا إشارة إلى ضرورة التمييز بين الجانب البشري والجانب الرسالي في حياة الرسل عليهم الصلاة والسلام وعليه فإن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم إنما يطلب من المكلفين فيما يبلغه عن الله عز وجل، أما ما يتعلق بتصرفاته التي تصدر عنه كبشر فليس يلزم منهم التقيد بها . وقد أدرك الصحابة الكرام ذلك ونقلت عنهم مواقف كثيرة تدل عليه من ذلك :
- في غزوة بدر أنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم الجيش منزلا ووضع لمواجهة المشركين خطة.. فقال له الصحابي الجليل حباب بن المنذر : " يا رسول الله أرأيتك هذا المنزل ؟ أهو منزل أنزلك الله لا نتقدم عنه ولا نتأخر أم هو الرأي والحرب والمكيدة" ؟ ووضح من السؤال أن الرجل وقد كان خبيرا عسكريا وضع خيطا فاصلا بين الجانب الرسالي الذي يلزم التقيد به والجانب البشري الذي يمكن أن يراجع فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكان جواب النبي صلى الله عليه وسلم : " بل هو الرأي والحرب والمكيدة" فأشار بمنزل آحر وخطة أخرى قبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأثمرت نصرا مبينا.
- قام رجل ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقال ما تقول في الضب؟ فقال عليه الصلاة والسلام : " لا آكله ولا أحرمه" فقال الرجل : " إني آكل ما لم تحرمه..."¹
- : لماذا بشر ؟
- 1 - ليكونوا نموذجا لمن أرسل إليهم من جنسهم: إن الرسل هم حجة الله تعالى على خلقه قال تعالى : " رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا النساء 165. فلو أن الله تعالى أرسل إلى عباده رسلا من جنس آخر كالملائكة أو غيرهم فعبوده كما أمر، لم تقم الحجة على البشر لأنهم يتعللون بأنهم ليسوا كالملائكة ولا يطبقون ما تطيقه الملائكة ، ولذلك كانت الرسل من جنس المرسل إليهم قال مولانا جل وعلا : " لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ" التوبة 128.
- 2 - الحفاظ على الحرية في الاعتقاد : ودفع الإكراه عن الناس لقوله تعالى: " لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"
- وقد كان المشركون والكفار الراضون لدعوة الله تعالى ودينه ولما جاءهم به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يعترضون على بعثة بشر، وقد سجل القرآن الكريم اعتراضهم في مثل قوله

قال الحافظ ابن حجر هذا السائل هو خزيمه ابن جزء الحديث رواه ابن ماجه.¹

تعالى: " أبعث الله بشرا رسولا" ¹؟ وقوله تعالى: " إن أنتم إلا بشر مثلنا... " ² وطالبوا بأن يكون الرسول ملكا قال تعالى: " وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا " الفرقان 7. وقال تعالى: " وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكَاً لَفُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ " الأنعام 8.

وقالوا لولا أنزل عليه ملك طلبوا ملكا يروونه يشهد له بالرسالة فقال الله عز وجل: " ولو أنزلنا ملكا لقضي الأمر " لأهلكوا بعداب الاستئصال كسنة من قبلهم ممن طلبوا الآيات فلم يؤمنوا " ثم لا ينظرون " لا يمهلون لتوبة ولا لغير ذلك. ³

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكَاً جَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (الأنعام : 9]

" ولو جعلناه ملكا " أي ولو جعلنا الرسول الذي ينزل عليهم ليشهدوا له بالرسالة ملكا كما يطلبون " لجعلناه رجلا " لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته لأن أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة ولذلك كان جبريل عليه السلام يأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي " ولبسنا عليهم ما يلبسون " ولخاطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم حتى يشكوا فلا يدروا أملك هو أم آدمي أي فإنما طلبوا حال لبس لا حال بيان.

3 - اللسان:

الرسول يبعث في قومه ويخاطبهم بلغتهم التي يفهمونها حتى يتم البيان على النحو الأمثل قال مولانا جل شأنه: " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ " إبراهيم 4.

4 - الآيات:

الآيات هي العلامات الدالة على صدق الرسول والتي يؤيدهم الله تعالى بها ، وتكون خارقة لعادات الناس وكأن الله تبارك وتعالى بإجراء هذه الآيات على أيدي الرسل الكرام يقول للناس: " صدقوا عبادي فيما يبلغوا عني ".

قال تعالى: " وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَسُولًا الإسراء 94 . 1
قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ إبراهيم(15) 2
(تفسير الكتاب العزيز للواحدى أبي الحسن، علي بن محمد بن علي). ³

والرسل الكرام لا دخل لهم في هذه الآيات ولا يستطيعون الإتيان بها ، ولا يرغبون في الاستجابة لأقوامهم في هذه الطلب، لأن طلب الآية تحدي للرسول ويستبطن تعبيراً عن التكذيب والتشكيك، والاستجابة لطلبهم يقتضي جريان سنة الله تعالى في إنزال العذاب بالمكذبين قال تعالى: " وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا " الإسراء 59. وهذا السلوك من الرسل الكرام هو الذي ينسجم مع طبيعتهم في الخوف على أقوامهم من أن يعمهم الله بالعذاب وهو ما نص عليه القرآن الكريم في قوله تعالى: " وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ " الأنعام 109. وكان كل رسول إذا قال قومه: " ولولا أنزل عليه آيات من ربه " يكتفي بالقول: "... إنا الآيات عند الله وإنا أنا نذير مبين " العنكبوت 50.

ولأن طلباتهم لا تنتهي عند حد وقد حكى القرآن الكريم نماذج من طلباتهم:

– وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ البقرة 55.

وقد حذر القرآن المشركين من أن يطلبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما طلبت بنو إسرائيل من موسى قال تعالى: " أَمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَسْأَلُوا رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَتَّبِعِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ " البقرة 108.

قال تعالى: " وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلالَهَا تَفْجِيرًا أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتِ عَلَيْنَا كَسِيفًا أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُوهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا " الإسراء 90-93 وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: " قالت فريش للنبي صلى الله عليه وسلم: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً "، والمعنى أن يجول جبل الصفا وحجارته إلى ذهب خالص؛ معجزة، وعلامة وحجة على نبوته، " فإن أصبح ذهباً اتبعناك " وأما بك وبرسالتك، " فدعا ربه " بما طلبوه؛ لعلمهم يؤمنون، " فاتاه جبريل عليه السلام، فقال: إن ربك يقرئك السلام "، ويقول لك: إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً؛ فمن كفر منهم عدبته عذاباً لا أعدبه أحداً من

العالمين"؛ وإن شئت فتحت لهم باب التوبة والرحمة فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "بل باب التوبة والرحمة"، وهذا من حسن خلق النبي صلى الله عليه وسلم، ومحبته لهداية الناس، وصبره عليهم؛ لعل الله أن يهديهم، أو يخرج من أصلابهم من يعبد الله ولا يشرك به شيئاً.

الإيمان بجميع الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام:

عقيدة التوحيد التي تؤمن بها يتفرع عنها وحدة الرسالات الإلهية، والإيمان بالأنبياء والرسل الركام عليهم الصلاة والسلام يقتضي بالضرورة الإيمان بهم جميعاً دون تفریق بين أحد منهم وفي هذا المعنى تضافرت النصوص القرآنية منها:

- قال الله تعالى: " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ البقرة 285.

- قال تعالى: " إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا النساء 150-152.

- وقال تعالى: " قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ومن يتغي غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين". آل عمران 84.

- عدد الأنبياء والرسل:

- عددهم كثير لا يعلمهم إلا الله تعالى والقرآن الكريم قص علينا بعضهم دون بعض قال تعالى "منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص" وفيما قص كفاية لأن الدين ذكروا في القرآن الكريم بأسمائهم خمسة وعشرون نبيا ورسولا. فوجب علينا الإيمان بهم جميعاً على وجه الإجمال وبمن ذكروا في كتاب الله تعالى على وجه التفصيل هم: آدم - إدريس - نوح - هود

- صالح - إبراهيم - إسماعيل - إسحاق - يعقوب - يوسف - لوط - شعيب - أيوب
- ذو الكفل - يونس - موسى - هارون - إلياس - اليسع - داوود - سليمان - زكرياء
- يحيى - عيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام.
- وليس الواجب أن يحفظ المؤمن أسماءهم على ظهر قلب ولكن إذا عرض عليه اسم أن يعرف
أن كان نبيا أو لا .

والإيمان بهم جميعا مؤسس على حقيقة أنهم جاءوا جميعا بعقيدة التوحيد وبال دعوة إلى عبادة الله
تعالى وعدم الإشراك به والتفريق بينهم تناقض صارخ يرفضه العقل السليم. ومن النصوص القرآنية
الدالة على هذا المعنى :

- قال الله تعالى : " لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي
أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ الْأَعْرَافِ

- وقال تعالى : " وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ
هُود

- قال تعالى : " وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ
جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ... هود

- وقال تعالى : " - وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ
جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ...

- وقال تعالى : " ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ

- وقال تعالى : " وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ
الأنبياء 25.

واتفاق الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الدعوة إلى عبادة الله تعالى وعدم الإشراك به لا يعني
أنهم متفقون في الشرائع التي جاءوا بها والتي هي تعبير من المؤمنين عن عبوديتهم لله الواحد الأحد،
وهذا ما نص عليه القرآن الكريم قال تعالى : " وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ

الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا المائدة 48.

وقد حكى القرآن الكريم أن الشرائع التي بعث الله تعالى بها الأنبياء والرسل الكرام عليهم لاصلاة والسلام كانت تختلف باختلاف أحوال المرسل إليهم وقد شدد الله تعالى على الذين هادوا بسبب ظلمهم وصددهم للناس عن سبيل الله تعالى وتعاملهم بالربا وغيرها من الأمور التي نهوا عنها وفي هذا قال تعالى: "فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا وَأَخَذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا" النساء 160-161. كما أن هذه الشرائع كانت أخفّ وتتسع فيها دائرة الحلال كما قال الله تعالى على لسان عيسى بن مريم: "وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَلَأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا رِجِّي وَرَبِّي فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ". آل عمران 50-51.

قال الشاعر حافظ إبراهيم:

- والعلم إن لم تكتنفه شمائل
- لا تحسبن العلم ينفع وحده
- تعليه كان مطية الإخفاق
- ما لم يُتَوَجَّ رُثُهُ بِخَلِاق.

تفاضل الأنبياء والرسل فيما بينهم:

الرسول الكرام وكذا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام متفاضلون فيما بينهم عند الله تعالى قال الله تعالى في الرسل عليهم السلام: "تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ...". البقرة 253. وفي تفضيل الأنبياء عليهم السلام قال جل وعلا: "وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زُبُورًا...". الإسراء 55.

وأفضلهم على العموم المطلق الذي يشمل المخلوقات كلها من الإنس والجن والملائكة في كل خصال الخير وأوصاف الكمال في الدنيا والآخرة هو رسول الله محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم...

وقد روى ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعني فقراء المؤمنين ولا فخر، أنا أكرم الأولين والآخريين على الله ولا فخر". رواه الترمذي.

وروى أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد يومئذ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخر". الترمذي أيضاً. أي لا فخر أعظم من هذا، أو لا أقول ذلك فخراً بل تحدثنا بنعمة الله تعالى.

وقد وردت في المقابل أحاديث كثيرة ينهى فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤمنين عن تفضيله على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عموماً وعلى بعضهم خاصة نذكر منها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تفضلوني على الأنبياء" رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

- وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تفضلوني على يونس بن متى".

- وقال أيضاً: "لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى .."

ولا تعارض بين ما نص عليه القرآن الكريم من تفضيل الأنبياء والرسول بعضهم على بعض، ولا بين منطوق أحاديثه الشريفة لن هذه الأحاديث إما لها تأويلات معقولة وإما لها سبب ورود خاص ينبغي أن تفهم في سياقه..

- قوله عليه الصلاة والسلام: "لا تُخَيِّرُونِي عَلَى مُوسَى" له سبب ورود خاص ذكره الإمام البخاري وإمام مسلم عن أبي هريرة قال: "استب رجل من المسلمين ورجل من اليهود فقال اليهودي في قسم يقسمه: "لا والذي اصطفى موسى على العالمين فرفع المسلم يده فلطم بها وجه اليهودي، فقال: أي خبيث، وعلى محمد صلى الله عليه وسلم؟ فجاء اليهودي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فاشتكى على المسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تفضلوني على الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول ن أفيق فأجد موسى

باطشا بقائمة العرش فلا أدري : أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور فلا تفضلوني على الأنبياء " .

وقد ذكر ابن كثير هذا الحديث في تفسيره، وذكر له مجموعة من التوجيهات منها:

- أنه صلى الله عليه وسلم قال هذا من باب الهضم والتواضع.
 - أو قاله من باب النهي عن التفضيل في مثل هذه الحال التي تحاكموا فيها عند الخصم والتشاجر.
 - أو المقصود عدم التفضيل بمجرد الآراء والعصبية.
 - أو المعنى أن التفضيل ليس إليكم وغنما هو إلى الله عز وجل.
- قوله عليه الصلاة والسلام: " لا تفضلوني على يونس بن متى " وفي رواية عن ابن عباس : " ما ينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس بن متى " هذا الحديث أيضا له تأويلات حكيمة منها:
- إنما خُصَّ يونس بالذكر خشية على من سمع قوله تعالى : " و لا تكن كصاحب الحوت " أن يقع في نفسه تنقيصه ، والخط من مرتبته فبالغ في ذكر فضله سدا لهذه الذريعة.
 - أنه صلى الله عليه وسلم قاله تأدبا وتواضعا ..
 - وقيل إن قوله صلى الله عليه وسلم: " لا تفضلوني على يونس بن متى " أي لا تعتقدوا أنني أقرب إلى الله تعالى من يونس في الحس حيث ناجيته من فوق السماوات السبع وهو ناجى ربه في بطن الحوت في قاع البحر ، لتنزهه تعالى عن الجهة والمكان فيستوي في حقه سبحانه من فوق السماوات ومن في قاع البحر.

هذه توجيهات للجمع بين الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة ... ولكن فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخفى ولا ينبغي أن يجادل فيه أحد، قال القرطبي في تفسيره: " إن المنع من التفضيل إنما هو من جهة النبوة التي هي خصلة واحدة لا تفاضل فيها، وإنما التفضيل في زيادة الأحوال والخصوص والكرامات والألطف والمعجزات المتباينات، وأما النبوة نفسها فلا تفاضل ، وإنما تتفاضل بأمور

أخرى زائدة عليها ، ولذلك منهم رسل وأولو العزم ، ومنهم من إتخذ الله خليلا ، ومنهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات ... وقد أشار ابن عباس إلى هذا فقال : " إن الله فضل محمدا على الأنبياء وعلى أهل السماء فقالوا: بيم يا ابن عباس فضله على أهل السماء؟ فقال : " إن الله تعالى قال : "ومن يقل منهم إني إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين" وقال لمحمد : " إنا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر " قالوا وما فضله على الأنبياء؟ قال : قال الله تعالى : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم " وقال له صلى الله عليه وسلم : " وما أرسلناك إلا كافة للناس " فأرسله إلى الجن والإنس . (ذكره أبو محمد الدارمي في سننه).

قال الإمام اللقاني في جوهرة التوحيد:

نبينا فمِلْ عن الشقاق

وأفضل الخلق على الإطلاق

وبعدهم ملائكة ذي الفضل

والأنبياء يَلُونُهُ في الفضل

وبعضُ كلِّ بعضه قد يَفْضُل .

هذا وقوم فصلوا إذ فضلوا

• الصفات الواجبة في حقهم:

يتحدث علماء العقيدة على صفات الواجبة في حق الرسل الكرام منها الأمانة والصدق والفظانة والتبليغ... وهذه صفات لها اتصال بالمهمة التي اصطفاهم الله تعالى لأدائها وهي الدعوة إلى الله وهداية الناس ودالتهم على الهدى المستقيم . ولاشك أن الأنبياء لهم كمالات كثيرة يتفاوتون فيها فيما بينهم فهل يمكن حصر صفات رسول الله فيها؟ لقد كان خلقه القرءان . والمقصود بالوجوب عدم قبول بالانفكاك بالنظر للشرع لان ما ذكر من هذه الواجبات سمعي .

أما المعجزات التي يؤيدهم الله تعالى بها تصديقا لهم في دعواهم الرسالة قد تكون واجبا وضعيا لأنها تنزل منزلة الكلام "أي صدقوا عبدي فيما يبلغ عني"

وقد يكون تصديقها واجبا عقليا لتنزهه سبحانه وتعالى عن تصديق الكاذب

1- الأمانة : والمراد بها العصمة وهي ملكة نفسانية تمنع صاحبها من الفجور , وثمارها حفظ

ظواهرهم وبواطنهم من التلبس بمنهي عنه ولو كراهة تنزيه وأفعالهم تدور بين الواجب والمندوب

وقت وجوب العصمة لهم عليهم السلام

وللعلماء في المسألة قولان :

✓ إنها تجب لهم في زمن النبوة فقط

✓ أنها واجبة لهم من أول الولادة إلى آخر العمر لقوله تعالى "الله أعلم حيث يجعل

رسالته "

فكل رسول قد ولد على الاستعداد التام لأن يكون رسولا ولذلك كانت ولايته لله تعالى من غير اجتهاد . ولكن كانت فضلا من الله كرسالته ، أما بعد رسالتهم فلا خلاف في وجوب العصمة لهم ودليلها أنهم لو خالفوا بفعل محرم أو مكروه لكننا مأمورين بذلك المحرم أو المكروه لأن الله تعالى قد أمرنا باتباعهم في أفعالهم وأقوالهم قال تعالى "قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم "

وكذلك من مقتضى رسالتهم أن يأمروا الناس بفعل الطاعة وترك المعصية فلو فعلوا المعصية أو تركوا الطاعة لكانوا ممن يصدق فيهم قوله تعالى "أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون" وقوله تعالى "كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون" وحاشاهم.

2- الصدق : هو مطابقة الخبر للواقع ومطابقته للاعتقاد ودليل صدقهم :

أن الله تعالى أيدهم بالمعجزات تصديقا لهم في دعواهم الرسالة ولو لم يكونوا صادقين للزم من ذلك الكذب في خبره تعالى لأن تصديق الكاذب كذب الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا . وتصديق الرسول في دعواه الرسالة ودلالة المعجزة على ذلك يقتضي تصديقه كاملا في كل ما يصدر عنه وفي هذا روى البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى فرسا من رجل اسمه سواد بن قيس المحاربي ، وجاء رجل فاعطاه أكثر فنزع الفرس من يد النبي عليه الصلاة والسلام فقال له "لقد اشتريت منك" فقال سواد "لم تشتري مني" وجاء رجل اسمه خزيمه بن ثابت الأنصاري فقال أشهد أن رسول الله اشترى منك فقال عليه الصلاة والسلام "ما حملك على الشهادة ولم تكن معنا حاضرا؟ قال : صدقتك بما جئت به وعلمت أنك لا تقول إلا حقا . فقال عليه السلام : من شهد له خزيمه أو عليه فهو حسبه "أي جعل شهادته تعدل شهادة رجلين ، ولو كان الكذب جائزا على الأنبياء لكانت شهادة خزيمه غير جائزة

3- **الفتانة**: والمقصود منها التفطن والتيقظ والذكاء وسرعة البديهة وحسن الفهم وشدة الحفظ، لاستيعاب رسالة الله تعالى وحفظ كلامه لحسن التلقي والفهم عن الله تعالى لحسن التبليغ ما أنزل الله تعالى وحسن تنزيله على واقع الناس لإلزام الخصوم وإبطال دعاويهم ودحض شبههم وغيرها مما تتوقف عليه الرسالة ولا يكون إلا بالذكاء ودليل وجوبها أن الأنبياء والرسل في دعوتهم إلى الله تعالى يتعرضون لخصوم يجادلونهم بالباطل قال تعالى "وكذلك جعلنا لكل نبيء عدوا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا" وقد أشار القرءان الكريم إلى الكثير مما تعرض له الأنبياء من الجدل وكيف كانوا يردون وينتصرون في إظهار حجة الله صافية متبخرة ورد شبهات المضلين مفتضحة مندرجة. قال تعالى "وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزل به سلطانا فأبي الفريقين أحق بالأمن ان كنتم تعلمون، الذين ءامنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتينها إبراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم" وقال تعالى "قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين" ومن الأدلة على وجوب الفتانة للأنبياء أنهم من شهود الله تعالى على خلقه قال تعالى "رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون على الله حجة بعد الرسل" الشاهد لا يكون مغفلا.

4- التبليغ :

والمقصود بتبليغهم لما جاءوا به من عند الله تعالى وليس المراد هو مجرد تبليغ بل تبليغ كل ما أرسلوا به من غير زيادة ولا نقصان وقد وردت نصوص كثيرة في قصص الأنبياء تشير إلى أنهم بلغوا رسالات ربهم من ذلك قصة نوح عليه السلام. قال تعالى "قال رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدتهم دعائي إلا فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا" ولم يزد رسول الله على ما كلف به حرفا واحدا قال تعالى "ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من احد عنه حاجزين" ولم ينقص حرفا واحدا قال تعالى "وما على الغيب بضنين" وقد قالت عائشة لو كان رسول الله مخفيا شيئا من كتاب الله تعالى لأخفى قوله "...وتخفي في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه"

ودليل التبليغ من العقل أنهم لو كتموا شيئاً مما أمروا بتبليغه للخلق لكننا مأمورين بكتمان العلم الموصل إلى الهداية لأننا مأمورين بالاعتداء بهم ولا يخفى بطلان هذا لقوله عليه الصلاة والسلام "من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين ألجمه الله يوم القيامة بلجام من نار" هذه شروط عقلية واجبة في حق الرسل الكرام عليهم السلام وتنضاف إليها شروط شرعية عادية منها: البشرية والحرية والذكورة, كمال العقل وقوة الرأي والسلامة من كل مستنفر من النبوة وكونه اعلم من جميع من بعث إليهم بأحكام الشريعة التي بعث الله بها.

5- المعجزة:

التعريف: لغة من أعجز أي نسبة إلى العجز أو أثبت عجزه وشرعاً: هي أمر خارق للعادة يجريه الله تعالى على أيدي الأنبياء والرسل تأييداً لهم فهي لا تتصادم مع حكم شرعي لأنها جاءت أصلاً لتأييد الرسل الداعين إلى التزام الحكم الشرعي فكيف تصادمه وما أجروها إلا من أجله؟ وهي لا تصادم حكماً عقلياً لأن ذلك يعني إلغاء العقل الذي هو مناط التكليف وهذا لا يستقيم, بل إن المعجزة يخرقها لحكم عادي توقظ العقل لأن الإنسان إذا ألف شيئاً فلا يسأل عنه ولا يكلفه عقله البحث عن حقيقته. المعجزة هي خرق لحكم عادي, لا لحكم شرعي ولا لحكم عقلي والحكم العادي ما حكمت به العادة ولم يقم عليه دليل من شرع أو عقل.

شروط المعجزة:

المعجزة دالة على صدق الأنبياء وحقيقة المعجزة الخبر عن امتناع المعارضة وتحدي للإتيان به وللمعجزة خمس شروط:

- 1- أن يكون فعلاً من الله تعالى ولا يجوز أن يكون صفة قديمة دالك بأن المعجزة دالة على صدق الرسول خاصة, أما الصفة القديمة فلا اختصاص لها ببعض المخلوقات دون بعض
- 2- أن يكون الفعل خارقاً للعادة, لأنه إذا لم يكن خارقاً للعادة يستوي فيه الصادق والكاذب
- 3- تحدي النبي عليه الصلاة والسلام بالمعجزة وأن يكون ظهورها على وقف دعواه حتى ولو ظهرت على يد شخص وهو ساكن لم تكن معجزة وذلك إن المعجزة دليل لأنها تنزل تصديق الله تعالى للرسول, وإذا لم يكن التحدي لم تنزل منزلة التصديق

4- أن يكون ظهور المعجزة بعد الدعوى والتحدي فلو ظهرت آية فقال رجل من القوم أنا نبي الله والذي ظهر لكم هو معجزتي لم تكن معجزة لدننه لا تعلق بما مضى بدعواه ولا يدل على صدقه

5- أن تشهد المعجزة بصدقة ولا تشهد بتكذيبه فلو قال أحد علامة نبوتي أن ينطق هذا الحجر فأنطقه الله تعالى وقال أيها الناس: إن هذا الرجل كاذب فاحذروه لم يكن ذلك معجزة ولا دليل على تصديقه.

القضاء والقدر

1 - القضاء في البيان القرآني :

القضاء في البيان القرآني يدور حول معان متعددة يحددها السياق التي وردت فيه اللفظة من هذه المعاني :

1- الحكم بالشيء كما في قوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" وقوله تعالى: "وما كان لمومن ولا مومنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الخيرة من أمرهم".

2- أداء الشيء والفراغ منه :

كما في قوله تعالى: "فإذا قضيت مناسككم فاذكروا الله كذاكم أباءكم أو أشد ذكرا".

وقوله تعالى "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض".

3- تقديره :

كما في قوله تعالى: "وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين ولتعلنن علوا كبيرا".

4- الإرادة في قوله تعالى: "قالت رببي انى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر قال كذلك

الله يخلق ما يشاء اذا قضى أمرا فإنما يقول له كمن فيكون".

2 - القدر في البيان القرآني :

تأتي لفظة القدر في القرآن الكريم في معان مختلفة بحسب السياق والمجال العلمي التي وردت فيه ... من هذه المعاني

- 1- التضييق : كما في قوله تعالى : "اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ" .
- 2- المؤاخذة : كما في قصة يونس عليه السلام قال تعالى : "وَإِذَا النُّونُ مِنْ ذَهَبٍ مُّغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ" .
- 3- التعظيم :
كما في قوله تعالى : "وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ" .
- 4- الكمية والمقدار والهيئة والطبع :
كما في قوله تعالى : "وَأِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خِزَائِنُهُ وَمَا نُنزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ" .

الإيمان بالقضاء والقدر

الإيمان بمفهومه الحقيقي الذي يجب اعتقاده يتضمن أركاناً ستة تبدأ بتوحيد الله تعالى ويشمل التصديق بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر كما يشمل التصديق بالقضاء والقدر .

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد فجلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبته إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال : "يا محمد أخبرني عن الإسلام ؟ فقال عليه الصلاة والسلام : "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً . قال صدقت , قال عمر فعجبنا له يسأله ويصدقه قال فأخبرني عن الإيمان قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره قال : صدقت قال فأخبرني عن الإحسان قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك قال : فأخبرني عن الساعة ؟ قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل قال : فأخبرني عن أمارتها قال : أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان قال عمر : ثم انطلق فلبث ملياً ثم قال لي ؟ يا عمر أتدري من السائل قلت الله ورسوله أعلم ؟ قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم" .

ذكر الإمام مسلم عن يحيى بن يعمر قال : كان أول من قال في القدر بالبصرة معبد بن خالد الجهني فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميري حاجين أو معتمرين فقلنا لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر فوقف لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب داخل المسجد... فقلت أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرءون القرآن ويتقرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف . قال ابن عمر : " فإذا لقيت هؤلاء فأخبرهم أني برئ منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر " . والإيمان بالقدر يرتبط ارتباطاً وثيقاً بتوحيد الله تعالى ذاتا وصفات وفعالا ويتصل اتصالاً عميقاً بعلم الله تعالى الشامل المحيط الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض .

القضاء والقدر في الشرع:

قال الإمام النووي : " واعلم أن مذهب أهل الحق إثبات القدر ومعناه أن الله تبارك وتعالى قدر الأشياء في القدم وعلم أنها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه وتعالى وعلى صفات مخصوصة ، فهي تقع على حسب ما قدرها سبحانه وتعالى " .

وقال الراغب الأصفهاني : " والقضاء من الله تعالى أخص من القدر ، فالقدر هو التقدير والقضاء هو الفصل بين التقدير " القدر ما لم يكن قضاء فمرجوا أن يدفعه الله فإذا قضى فلا مدفع له ويشهد لذلك قوله تعالى : " **وكان أمرا مقضيا** " وقوله تعالى : " **كان على ربك حتما مقضيا** " أي أنه صار بحيث لا يمكن تلافيه .

والقضاء والقدر من الأمور الشائكة التي تكلم الناس فيها منذ القدم وما يزالون ، وقد سجل القرآن الكريم مواقف متباينة منها :

موقف المشركين :

قال تعالى : " **سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء ، كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون " .**

وقال أيضا : " **وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء ، نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء ، كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل إلا البلاغ المبين " .**

وقال تعالى : " **وإذا قيل لهم أنفقوا مما رزقكم الله قال الذين كفروا للذين ءامنوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه إن أنتم إلا فيي ضلال مبين " .**

موقف المنافقين من القضاء والقدر :

قال تعالى: "إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم لأخراكم فأثابكم ثمّ ما بغمّ لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم يظنون بالله خير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الأمر من شيء، قل إن الأمر كله لله يخفون في أنفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الأمر من ما قتلتنا ها هنا قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم وليبتلي الله ما في صدوركم وليمنح ما في قلوبكم والله عليم بذاته الصدور ."

وواضح من هذه النصوص وغيرها أن المشركين والمنافقين كانوا يتذرعون بالقضاء والقدر لترك القيام بما أمروا به وللتماذي فيما مردوا عليه.

موقف الصحابة من القضاء والقدر :

وردت نصوص كثيرة كلها تفيد أن الصحابة أيضا تكلموا في القضاء والقدر وشغلتهم أسئلة ولكنهم في البحث عن الجواب لم يخرجوا عن الآداب، من هذه النصوص:

1- روى البخاري في صحيحه عن علي رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلة فقال: "ألا تصليان؟ فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا.. فانصت حين قلت

ذلك ولم يرجع إليّ شيئا وسمعتة وهو يقول: "وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً".

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله أن رسول الله خرج على الصحابة وهم يتنازعون في القدر هذا ينتزع آية وهذا ينتزع آية فكأنما فُقي في وجهه حبّ الرمان فقال: "أبهذا أمرتم أو بهذا وكلمتم أن تضربوا كتاب الله ببعضه ببعض؟ انظروا إلى ما أمرتم به فاتبعوه، وما نهيتم عنه فاجتنبوه". رواه أحمد.

جاء سراقه بن مالك وقال: "يا رسول الله بين لنا ديننا كأننا خلقنا الآن فيما العمل اليوم؟ أفيما جفّت به الأقالام وجرت به المقادير أم فيما نستقيل؟

وقال رجل: "يا رسول الله أعلم أهل الجنة من أهل النار؟ قال نعم: ففيم يعمل العاملون؟

وجاء رجلان من مزينة فقالا: "يا رسول الله أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضى عليهم ومضى فيهم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم؟".

كل هذه الروايات وغيرها أخرجها الإمام مسلم في صحيحه وغيره وفيها جميعا كان جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اعملوا فكل ميسر لما خلق له".

وعن علي رضي الله عنه قال: "كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ فَأَتَانَا النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مَخْضَرَةٌ فَنَكَسَ فَجَعَلَ يَنْكُثُ بِمَخْضَرَتِهِ ثُمَّ قَالَ: "مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٌ إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللَّهُ مَكَانَهَا مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كَتَبَتْ شَقِيَّةٌ أَوْ سَعِيدَةٌ فَقَالَ رَجُلٌ: "يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا نَمُكِّثُ عَلَى كِتَابِنَا وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟" فَقَالَ: "مَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ... وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، إِعْمَلُوا فِكُلِّ مَيْسَرٍ: أَمَا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَمَيْسَرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ وَأَمَا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَمَيْسَرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ ثُمَّ قَرَأَ: "فَأَمَّا مَنْ أَحْطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالْحَسَنِ فَسَنِيَسِرُهُ لِلْيَسْرِ وَأَمَّا مَنْ بَخَلَ وَاسْتَغْنَى وَكَذَّبَ بِالْحَسَنِ فَسَنِيَسِرُهُ لِلْعَسْرِ".

موضع الخلاف في موضوع القضاء والقدر:

إن موضوع القدر في الجملة ذو أفقين:

- أفق العلم الإلهي

- أفق التكليف البشري

اهتم البعض بالأفق الأول: العلم الإلهي وغالى فيه حتى أنساه صحة التكليف والمسؤولية، ومال البعض إلى الأفق الثاني، التكليف البشري، وركز عليه حتى غفل عن ضرورة إثبات الكمال لله تعالى في تدبير أمور الكون والكائنات وبرزت اتجاهات فكرية متباينة نتيجة لذلك، وتجدد الإشارة إلى أنه لا خلاف بين المسلمين قاطبة أن القوانين الكونية في السماء والأرض مخلوقة لله تعالى سبق بها علمه وخصصتها إرادته ومثل ذلك الأفعال الاضطرارية للإنسان كجريان الدم في العروق وعمل الأجهزة الهضمية والتنفسية وما يقع عليه دون إرادة منه ولا قدرة... كلها من تقدير الله تعالى وخلقه ولا تكليف على الإنسان في هذين النوعين ولا مسؤولية عليه إزاءها ولا يستحق عليه مدحا ولا ذما.

من الفرق التي ظهرت مجانبتها للصواب:

1- الجبرية :

وهم أصحاب جهنم بن صفوان الذي ظهر بترمز ولا يزال ينشر ضلالته حتى قتل بمرو في آخر خلافة بني أمية وخلاصة مذهبهم: أن الإنسان لا يقدر على شيء ولا يوصف بالاستطاعة إما هو مجبور في أفعاله لا قدرة له ولا إرادة ولا اختيار وإنما يخلق الله تعالى الأفعال فيه على حسب ما يخلقها في سائر الجمادات وتنسب إليه الأفعال مجازا كما يقال أثمرت الشجرة وجرى الماء وطلعت الشمس والثواب والعقاب جبر كما أن الأفعال كلها جبر والتكليف أيضا جبر

2- القدرية :

روى الإمام مسلم عن يحيى بن يعمر قال: أول من قال بالقدر بالبصرة معبد بن خالد الجهني الذي قال: "لا قدر والأمر أنف".

3- عن الحسن بن محمد قال : "أول من تكلم في القدر حين أحرقت الكعبة سنة 64هـ.

قال قائل : كان هذا من قضاء الله إذ احترقت الكعبة.

وقال آخر : "ما كان هذا من قضاء الله".

عن ابن عون قال أدركت الناس وما يتكلمون إلا في علي وعثمان حتى نشأ تافه يقال له سنسويه البقال فكان أول من تكلم في القدر .

قال الاوزاعي : " أول من نطق بالقدر رجل من أهل العراق يقال له سوسن كان نصرانيا فأسلم ثم تنصر فأخذ عنه معبد الجهني وأخذ غيلان عن معبد.

وأيا كان أول من تكلم في القدر فإن مقالة معبد بن خالد الجهني : "لا قدر والأمر أنف" تعني أن الله سبحانه وتعالى ليس له علم سابق بما يحدث.

وأنه سبحانه لم يقدر الأمور ولم يردها.

إضافة الأفعال للإنسان نفسه فهو موجدتها والمسؤول عنها ولا يخفى ما في هذا المذهب من الجفاء والإنكار لجلال الله تعالى وكماله في المقابل تعلي من شأن الإنسان وكأنه وحده المتصرف في هذا الكون بحرية مطلقة.

المعتزلة :

كان المعتزلة أفضل ممن سبق ذكرهم فأثبتوا لله تعالى العلم الأزلي الشامل والقدرة المطلقة، وأما العبد فإنه بقدراته مخلوق لله تعالى وهو الذي منحه الاستطاعة على الأفعال وعليه فأفعال العباد غير مخلوقة لله فيهم بل الإنسان هو المحدث لها بما منحه الله تعالى من القدرة وأسبابها.

قال القاضي عبد الجبار : "والذي يدل على ذلك أننا نفصل بين المحسن والمسيء وبين حسن الوجه وقبيحه ، فنحمد المحسن على إحسانه ونذمّ المسيء على إساءته ولا تجوز هذه الطريقة في حسن الوجه وقبيحه لأن ذلك ليس من فعله ، ولو لا أن أحدهما متعلق بنا وموجود من جهتنا بخلاف الآخر لما صح هذا الفصل. فقال له قائل : "لا يمكنكم أن تستدلوا بهذه الطريقة على أن هذه الأفعال متعلقة بكم فإنكم تحمدون الله على الإيمان وإن كان الإيمان من فعلكم أو متعلقا بكم.

وكذلك فإنكم تدمون القاتل على الإماتة والإغراق مع أن شيئا من ذلك لا يتعلق به.

فأجاب القاضي :

أما الأول فليس ما تظنوننه لأننا لا نحمد الله تعالى على الإيمان نفسه وإنما نحمده على مقدماته من الإقرار والتمكين وسائر اللطاف وذلك موجود من قبله ومتعلق به.

فأجاب السائل :

أما الثاني فليس كذلك أيضا فإننا لا نذم القاتل على الإمامة والغرق لأن ذلك ليس من فعله ولا متعلقا به وإنما نذمه على مقدمات ذلك وأسبابه فلو أن أحدا ترك صبيا تحت برد شديد فمات فإن ذمنا إياه ليس على الإمامة وإنما على وضعه تحت البرد الشديد ومثل ذلك من ألقى صبيا في البحر فغرق ومات.

خلاصات :

إن الحق الذي بعث الله به الرسل (ص) وجاء به كتاب الله تعالى أكبر من أن يستوعبه مذهب واحد، وكل المذاهب تأخذ من كتاب الله تعالى ويبقى هذا الكتاب مشرفا عليها كأنما يقول: **"قل كل يعمل على شاكلته فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا"**.

وبالتالي لا يمكن نسبة العصمة المطلقة لإمام من الأئمة فكل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا رسول الله. ونعتقد أن العلماء، بمراعاة الوصف، مخلصون في اجتهادهم وليس منهم من يتغي الفتننة وإنما يريدون الوصول إلى الحق فمنهم من يصل ومنهم من يقارب ومنهم من يخطئ الطريق وينأى به السير.
أ- الجبر مرفوض :

إن مذهب أهل الحق يرفض الجبر رفضا تاما للأسباب التالية :

— هناك فرق واضح بين الإنسان المكرم والحيوان المسخر وأهم عوامل التفريق هو العقل والذي به كرم الله به بنى آدم وعليه مدار التكليف فإذا أخذ الله ما وهب سقط عن عبده ما وجب، فالجنون والصبي والنائم غير مطالب بالأمر والنهي.

هناك فرق بين الفعل الإختياري والفعل الإضطرابي فالساعي إلى الصلاة مختار والمرتعش مضطر والمنتحر مختار ومن قتل رغم أنفه مضطر.

وهذه التفرقة معتبرة شرعا - بالثواب والعقاب - فالساعي إلى الصلاة مثاب والمنتحر معاقب وبالتالي فالإنسان مكلف بفعله الإختياري فقط ولا تكليف عليه عند الاضطراب.

والعقل والاختيار والقدرة هي أساس المسؤولية الشرعية وهذا الأساس تقوم عليه حرية الإنسان في الفعل والترك قال تعالى: **"وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"**.

وقال تعالى: **"فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره"**.

ب - الامر مقدور :

إن قول معبد بن خالد الجهني: **"لا قدر والأمر أنفه"** قول مرفوض ويؤكد النصوص القطعية في ثبوتها ودالاتها كقوله تعالى: **"وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في"**

البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين".

وقال تعالى: " ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها...".

وعلم الله تعالى محيط شامل - غير مكتسب - لا يسبقه خفاء ولا يعتريه جهل، ومع ذلك فهو انكشاف، لا تأثير، فلا يلزم من العلم الإلهي الأزلي حمل الله الناس على هذا العلم في مجال التكليف وإلا أصبح إلقاء. وربط العلم الإلهي بالإرادة والقدرة هي في مجال الكون والكائنات المسخرة للإنسان وفي الأفعال الإضطرارية الخارجة عن التكليف الشرعي قال تعالى: "بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء، وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم خالق كل شيء، فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل". (الانعام 101 - 102).

فكونه سبحانه وتعالى خالق كل شيء تخرج منه العبادة وإلا لما صح الأمر بها ولا صح التعبير . إن الأمر بالعبادة مترتب على إبداع الله الكائنات وتسخيرها للإنسان والكلية في كتاب الله تعالى لا تكون دائمة عامة مطلقة وإنما يحددها السياق :

في ملكة سبأ قال تعالى: "وأوتيت من كل شيء".
أي مما يحتاجه الملوك وليس كل ما في السموات والأرض.

ومثله قوله تعالى: "وكان ورائهم ملك يأخذ كل سفينة خصباً" أي كل سفينة صالحة ولذلك خرقها لينقذها من الغصب.

إن أفعال الله تعالى مبنية كلها على الحكمة البالغة، والكون كله قائم على تدبير الحكيم: "الذي يدبر الأمر من السماء إلى الأرض" وليس في الكون شيء خارج عن إرادته سبحانه.

والإنسان في هذا الكون ليس مطلق السراح وكأنه يهيمن على الوجود وسيطر على الكائنات بل هو جزء من هذا الكون محكوم بقوانين ثابتة تحيط به وتقع عليه. فالليل والنهار والصيف والشتاء والمرض والصحة وطول العمر وقصره وأجهزة بدنه كلها مخلوقة لله تعالى مسيرة بإرادته واقعة بقدرته لا ينفك عنها إنسان. وهي أمور لا يكلف بها ولا يحاسب عليها ولا يعتريه مدح أو ذم بسببها لأنها خارجة عن نطاق المسؤولية الإنسانية.

أما التكليف والأمر والنهي والشرائع والأحكام فهي التي جعل الله تعالى فيها الإنسان مختاراً يفعل ما يشاء بما منحه من طاقات وما هياً له من أسباب وعلى هذا الأساس كلفه شرعاً بالإيمان وإن كان قادراً على الكفر

وكلفه بالطاعة وإن كان قادرا على المعصية لأن الله تعالى منحه الحرية ولو شاء لسلبها منه ولكنه سبحانه لم يشأ للإنسان الجبر. قال تعالى: **"ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين"** وقال سبحانه: **"وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيمًا"**.

قاعدة التفريق بين الكوني والشرعي:

لا بد للمؤمن أن يميّز بين الكوني والشرعي في الإرادة والقدر والأمر والكتاب والحكم والتحریم وغيره.. الكوني هو السنن الإلهية التي تنظم الكون وتدبر أمور الكائنات وتجعل الحياة متناسقة محكمة خاضعة لسلطان الله المطلق.

الشرعي هو ما يتعلق بالصلة بين الخالق والمخلوق في إطار العبادة والتكليف والمسؤولية قال تعالى: **"وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون"**. وقال (ص): **"حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا"**. ونحن مطالبون بالشرعي وليس بالكوني. وهذه نصوص تشير إلى الفرق بين الكوني والشرعي في الأمور السالفة الذكر.

في القضاء:

القضاء الكوني كما في قوله تعالى: **"وقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها.."** أي خلقهن وأحكم صنعهن ولا مسؤولية للإنسان في ذلك.

القضاء الشرعي كما في قوله تعالى: **"وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه"**. فالقضاء هنا بمعنى الأمر والإنسان مطالب بتوحيد الله في العبادة والإحسان إلى الوالدين ومحاسب على ذلك.

في الإرادة:

الإرادة الكونية كما في قوله تعالى: **"إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون"**. هذا تدبير إلهي لمملكته بمحض إرادته لا دخل فيه لأحد ولا حساب عليه.

الإرادة الشرعية كما في قوله تعالى: **"يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر"**. فقد أباح الله تعالى للمسافر والمريض الإفطار في رمضان إرادة شرعية والإنسان مختار بين الالتزام وعدمه ومحاسب على ذلك.

في الأمر:

الأمر الكوني كما في قوله تعالى: **"ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين"**.

الأمر الشرعي كما في قوله تعالى: **"إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها..."**

وقوله تعالى: **"إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذبي القربى.."**

في الكتابة:

الكتابة الكونية كما في قوله تعالى: " **كتب ربكم على نفسه الرحمة** " الكتابة الشرعية كما في قوله تعالى: " **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم...** " هذه كتابة تتعلق بالعبادة والإنسان قادر على فعلها أو تركها ومخيّر بين ذلك ومحاسب على اختياره وفعله.

في التحريم:

التحريم الكوني كما في قوله تعالى: " **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون** ". أي أن الأقوام التي أهلكت بذنوبها يستحيل أن ترجع إلى الدنيا لعمارقتها أو لإصلاح ما فسد من أعمالهم ولن يحاسب أحد على ذلك.

التحريم الشرعي كما في قوله تعالى: " **حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير...** " هذه مطعومات محرمة على الإنسان فمن تركها طاعة لله تعالى يثاب ومن تمرد وأكلها يعاقب.

في الكلمات:

الكلمات الكونية كما في قوله تعالى: " **وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم** .

في الكلمات الشرعية كما في قوله تعالى: " **وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات فأتمهن...** " الكلمات هنا بمعنى الأمر والنهي الذي كلف به نبيه إبراهيم فأتى بها على الوجه الأكمل تامة فأكرمه الله تعالى وجعله إماما للناس.

قاعدة الخير والشر:

إن قضية الخير والشر في الشرعيات واضحة فكل ما أمر الله تعالى به فهو خير وكل ما نهي عنه فهو شر . فالإيمان بالله والعمل الصالح والقول المعروف والمغفرة والصالح والتعفف.... كلها خير، كما أن الكفر بالله تعالى والإفساد في الارض والبخل والحسد وإهمال نعم الله تعالى وعدم الانتفاع بها... كل ذلك شر .

وقد جاءت نصوص كثيرة تدعو إلى المسارعة إلى الطاعة وسماها خيرات من ذلك قوله تعالى: " **فاستبقوا الخيرات** " وقوله تعالى: " **وافعلوا الخير لعلكم تفلحون** " .

أما قضية الخير والشر في الكونيات فهي نسبية فما نراه خيرا قد تكون عاقبته شرا وما نحسبه شرا قد ينتج عنه الخير، ولما كان الإنسان قاصرا عن إدراك حكمة الوجود وكل ما في الإنسان محدود سمعه وبصره وعقله

وقوته... فعليه التسليم لله تعالى في قضائه وقدره قال تعالى: "كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون". وقال تعالى: "وماشروهن بالمعروفه فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا".

والإيمان بالعلم الإلهي الأزلي يمنح المؤمن سكينه وهدوء وتوازنا في التعامل مع مستجدات الأمور خيرها وشرها قال تعالى: "ما أصابك من مصيبة في الأرض ولا في أنفك إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يجد كل مختال فخور".

التفسير القرآني

القرآن الكريم يفسر بعضه بعضا ولا يجوز لأحد أن يضرب بعضه ببعض والنصوص القليلة تُردّ في فهمها إلى النصوص الكثيرة والنصوص المطلقة تحمل على النصوص المقيدة مثال: قوله تعالى: "ختم الله على قلوبكم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم". وقوله تعالى: "من يهدي الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا".

هذه نصوص مطلقة يجب أن تفهم في إطار نصوص مقيدة بفعل الإنسان مثل قوله تعالى: "وما يضل به إلا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض". وقوله تعالى: "فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه". وقوله تعالى: "فلما زانوا أزان الله قلوبهم".

وقد أطلق التعبير القرآني في التيسير لليسرى والتيسير للعسرى وهما مرتبان على ما يصدر من الإنسان في إطار التكليف الشرعي وما يختار لنفسه قال تعالى: "فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى..."

نصوص أسية فهمها

1 - قال تعالى: "والله خلقكم وما تعملون". فإن هذه الآية عندما تنتزع من سياقها

تُصرف عن مراد الله بها ، فحرف " ما " موصولة أي " والذي تعملونه " فإبراهيم عليه السلام يحتج على قومه بأن الله خلقهم وخلق المنحوت الذي يعبدونه (حجرا كان أو خشبا) ولا يعقل أن تكون " ما " مصدرية أي وعملكم لأن ذلك يؤدي أن ينكر عليهم ما خلقه الله فيبطل الاحتجاج عليهم. فقله تعالى : " وما تعملون " المقصود به المعمول لا العمل أي المنحوت لا عملية النحت لأنهم عبدوا المنحوت ولم يعبدوا النحت. قال تعالى : **" أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ "** فالله هو خالقكم وخالق منحوتكم فهو أحق بالعبادة.

2 - قوله تعالى : **" وما رميت إذ رميت ولكن الله رمى "** فالله تعالى نفى عن نبيه (ص) الرمي في قوله " ما رميت " وأثبت له الرمي في قوله " إذ رميت " فعلم أن الرمي المنفي غير الرمي المثبت ، ذلك بأن الرمي له ابتداء وله انتهاء فالنبي (ص) قد بدأ بالرمي وهو إطلاقه من يده ولكن منتهاه المقصود هو إصابة الهدف متوقف على عوامل أخرى الله سبحانه وتعالى هو خالقها ولا دخل للرامي بها ، فالإنسان يسعى ويتخذ الأسباب ويدع النتائج لله رب العالمين. ويرجع إلى ما كتبه الشيخ ابن السيد البطليوسي في كتاب الإنصاف في الخلاف العارض من جهة ...